المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com

البابا شنوده الثالث

كيف نبدأ عامًا جديدًا

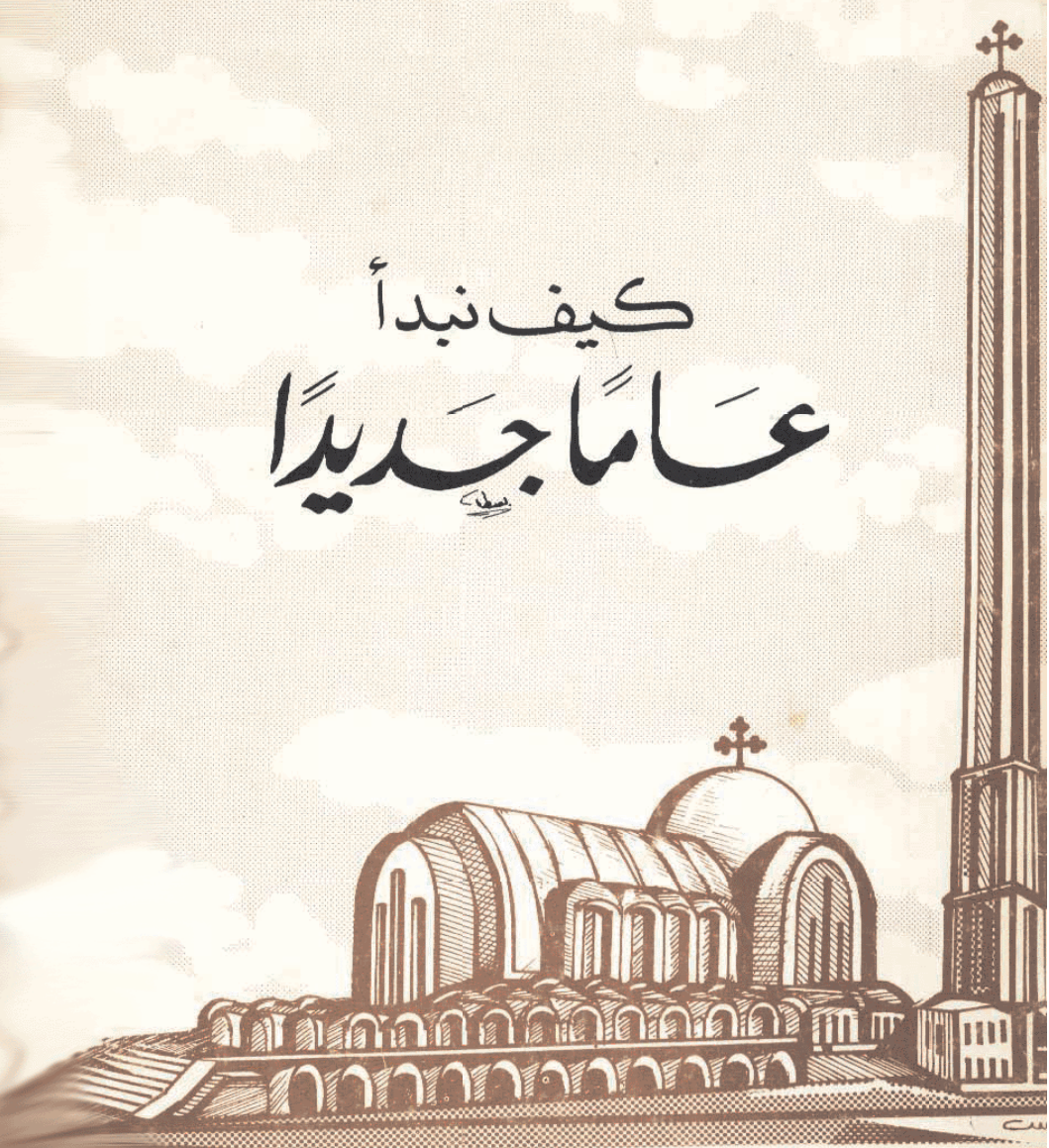

البابا شنوده الثالث

كيف تبدأ عاماً جديداً

HOW TO START A NEW YEAR
BY H. H. POPE SHENOUDA III

1st Print
Dec. 1982
Cairo

الطبعة الأولى
ديسمبر ١٩٨٢
القاهرة

الكتاب : كيف نبدأ عاماً جديداً .
المؤلف : البابا شنوده الثالث .
الطبعة : الأولى ١٩٨٣ .
المطبعة : الأنبا رويس بالعباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٥٦٩٦ .

البابا شنوده الثالث

مقدمـــــة

فى كل سنة كانت تمر علينا ، كنا نجتمع معاً ، لنتأمل كيف يجب أن نبدأ هذه السنة بداية روحية سليمة ...

وبهذا وجدنا أنفسنا أمام محاضرات عديدة ، بعضها ألقيت فى بداية العام الميلادى ، وبعضها ألقيت فى بداية العام القبطى ، سواء فى القاهرة أو فى الإسكندرية . وقد رأينا أن ننتقى للقارىء العزيز بعضاً من هذه المحاضرات ، مقدمين بها أمثلة من المشاعر التى ينبغى أن تجول فى قلوبنا فى بداية العام .

ومن أمثلة هذه المشاعر : محاسبة النفس ، والخروج منها إلى لوم النفس وتبكيتها ، لنصل إلى التوبة ، وليكون لنا قلب جديد وروح جديدة بعمل الله فينا .

فعن محاسبة النفس ، قدمنا لك موجزاً من محاضرتين فى آخر عام ١٩٧٤ ، ألقيت إحداهما فى القاهرة والأخرى فى الإسكندرية .

وعن لوم النفس قدمنا لك محاضرة ألقيت بالقاهرة فى ١٩٧٢/١٢/٢٩ .

أما محاضرة « قلباً جديداً وروحاً جديدة » فكانت يوم ١٩٧٦/١٢/٢٤ .

ورأينا أن نقدم فى العام الجديد محاضرة عنوانها بشرى مفرحة .

إذ لا ينبغى أن يكون الحديث كله عن التوبة ، وإنما يحسن أن تكون للناس فى بداية العام روح الفرح والإستبشار بعمل الله فيه . وقد ألقيت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية الكبرى بالعباسية مساء الجمعة ١٩٧٦/١٢/٣١ .

ثم قدمنا لك محاضرة أخرى عن الوقت وأهميته ...

حتى يحرص الإنسان فى العام الجديد على كل دقيقة من وقته ليستغلها فى الخير والبناء والعمل الروحى ، ولا يسمح أن تضيع حياته هباء ، إنما يكون العام الجديد بالنسبة إليه عاماً مثمراً . وقد ألقيت هذه المحاضرة يوم ١٩٧٠/١٢/٣١ ، مع محاضرة أخرى بنفس العنوان فى ١٩٧٧/٢/٢٥ .

ومن ثمرة هذه المحاضرات السبع ، صدر هذا الكتاب .

شنوده الثالث

فهرست

صفحة

مقدمة ٥
١ ـ محاسبة النفس ٧
٢ ـ لوم النفس ١٣
٣ ـ قلباً جديداً وروحاً جديدة ٢٧
٤ ـ بشرى مفرحة ٤١
٥ ـ الوقت ٥٧

إنتظر فى الأسبوع المقبل إن شاء الله
كتاباً جديداً هو
[من وحى الميلاد]

محاسبة النفس

عن محاضرتين : إحداهما في الكاتدرائية الكبرى في القاهرة الجمعة ٢٧/١٢/٧٤ مساء
والثانية في الكنيسة المرقسية بالإسكندرية مساء الأحد ٢٩/١٢/١٩٧٤

باسم الآب والإبن والروح القدس ـ إله واحد آمين

نحن الآن فى آخر العام ، ونريد أن نبدأ عاماً جديداً .

ما تزال أمامنا بضعة أيام ، نريد أن نختم بها عامنا هذا ، الذى إن لم نكن قد جعلنا سيرته صالحة ، فعلى الأقل : ليتنا ننتهى من هذا العام بنهاية صالحة .

فكيف ، إذن ننهى عامنا هذا ، ونبدأ آخر؟

يحتاج كل منا إلى جلسة هادئة مع نفسه .

ما أكثر ما ينشغل الناس بحفلات رأس السنة وبرامجها والإعداد لها ، بحيث يكونون فى مشغولية وزحام ، وفى لقاءات واهتمامات ، لا تعطيهم فرصة على الإطلاق للجلوس مع أنفسهم . وربما فى هذه البرامج يسمعون محاضرات عن أهمية الجلوس مع النفس ، دون أن يكون لهم وقت للجلوس مع النفس . أم أنتم قليلتكم تجدون وقتاً أو ترتبون وقتاً ، فى خلوة وهدوء ، تنفردون فيه بأنفسكم .

تفتشون هذه النفس ، وتفحصونها ، هى وظروفها كلها .

تكون جلسة حساب ، وربما جلسة عتاب ، أو جلسة عقاب ...

وتكون جلسة تخطيط للمستقبل ، تفكير فيما يجب أن تكونوا عليه فى العام المقبل ، فى جو من الصلاة ، وعرض الأمر على الله ، لكى تأخذوا منه معونة وإرشاداً ... جلسة يناقش فيها الإنسان كل علاقاته ، سواء مع نفسه أو مع الآخرين أو مع الله ، بكل صراحة ووضوح .

وتحاول أن تخرج من كل هذا بخطة جديدة للعام الجديد .

خطة عمل ، أو خطة عملية ، ومنهج حياة... كما حدث للإبن الضال : إذ جلس إلى نفسه ، وفحص حاله ، وخرج بقرار حاسم لما ينبغى عليه أن يعمله .

أقول هذا ، لأن كثيراً من الناس يعيشون فى دوامة ، لا يعرفون فيها كيف يسيرون أو إلى أين يسيرون ، يسلمهم الأمس إلى اليوم ، و يسلمهم اليوم إلى غد ، وهم فى متاهة الأمس واليوم والغد ، لا يعرفون إجابة من يقول لهم : إلى أين ؟

أناس يعيشون فى غيبوبة عن روحياتهم وأبديتهم !

وخط سيرهم ليس واضحاً أمامهم . وربما يهتمون بتفاصيل كثيرة ودقيقة . ولكن الهدف غائب من أمامهم . والخيوط التى تشدهم إلى واقعهم هى خيوط قوية ، كأنها سلاسل لا ينفكون منها . لذلك هم فى حاجة إلى جلسة هادئة مع النفس ، يفحصون فيها كل شىء ، بكل تدقيق وبكل صراحة ، ويصلون إلى حل...

إنى أعجب من أشخاص يأخذون عطلات من أعمالهم لأسباب كثيرة ، ربما لزيارة أو مقابلة أو لسفر أو رحلة ، أو لمجرد الراحة أو الترفيه عن النفس... بينما لم أسمع عن أحد أنه أخذ عطلة من عمله ، لكى يجلس مع نفسه ويفحصها... ! ولكى يحاسبها على عام طويل : ماذا فعلت فيه مما يرضى الله ، وماذا فعلت مما يغضبه ؟

إن بداية عام هى مناسبة هامة لمحاسبة النفس .

كثيرون من الروحيين يحاسبون أنفسهم فى مناسبات معينة : قبل الإعتراف والتناول مثلاً ، أو فى نهاية كل يوم ، أو بعد عمل معين يحتاج إلى فحص من الضمير . أما جلسة الإنسان فى نهاية العام ، فهى حساب إجمالى أو حساب عام ، يتناول فيه الحياة كلها .

وربما يفحص الخطايا المتكررة والمسيطرة فى حياته .

الخطايا التى تكاد تكون عنصراً ثابتاً فى اعترافاته ، ونقطة ضعف مستمرة فى حياته . ويفحص ما هى أسبابها ودوافعها ، وكيف يمكن أن يتخلص من هذه الأسباب ، وكيف يحيا بلا عثرة . إن الله عليه العمل الأكبر فى تخليصه ، ولكن لا شك أن هناك عملاً من جانبه كإنسان لا بد أن يعمله ، ليكون فى شركة مع الله .

وقد يفحص الإنسان صفاته الشخصية التى يتميز بها .

وماذا ينبغى أن يتغير من هذه الصفات أو يستبدل بغيره ؟ وهل تحولت بعض الخطايا إلى عادات له ، أو إلى طباع أو صفات ثابتة... كإنسان مثلاً ، أصبحت فى صفاته حساسية زائدة نحو كرامته ، فهو يغضب بسرعة ويثور بسرعة لأى سبب يمس أنه يمس هذه الكرامة... وصار هذا طبعاً فيه ، أو صفة ثابتة... وهو محتاج أن يغيّر هذا الطبع ، ويتخلص من هذه الحساسية ، ويصير واسع الصدر لطيفاً ومحتملاً... هنا يفحص الصفة كلها ، وليس مجرد حادثة عارضة من قصص غضبه...

ليت جلستك مع نفسك تكون مرآة روحية لك ...

تعطيك صورة صادقة عن نفسك ، صورة طبيعية تماماً بغير رتوش ، بغير دفاع ، بغير تبرير ، بغير مجاملة للذات ، بغير تذليل للذات .

إنك قد تتأثر إذا كشفك إنسان وأظهر لك حقيقتك ، التي قد يجرحك معرفة الناس لها . ولكن لا تكون في مثل هذا التأثر ، إذا ما كشفت نفسك بنفسك ، لكي تعرفها فتصلحها . ولكي تكشف أمراضها فتعالجها . لذلك فلتكن جلستك مع نفسك ، مثل أشعة تعطي صورة حقيقة للداخل ، وتكشف ما يوجد فيه .

لتكن جلستك مع نفسك ، جلسة ضمير نزيه ...

أو جلسة قاض عادل ، يحكم بالحق ، جلسة صريحة ، حاسمة ، وحازمة . وحاسب نفسك في صراحة ، على كل شيء : خطايا الفكر ، خطايا القلب والرغبات والمشاعر ، خطايا اللسان ، خطايا الجسد ، خطاياك من جهة نفسك ومن جهة الآخرين ... علاقتك مع الله ، وتقصيراتك في الوسائط الروحية ... الخطايا الخاصة بوجوب النمو : هل أنت تنمو روحياً أم حياتك واقفة ؟ لا تترك شيئاً في حياتك دون أن تكشفه لتعرفه ، فتتخذ موقفاً تجاهه ...

إجلس إلى نفسك لتقيمها ، وتعيد تشكيلها من جديد .

إهتم بروحك ، وراجع حياتك كلها . لا تقل « هكذا هي طباعي » أو « هكذا هي طبيعتي » . كلا . فالذي يحتاج فيك إلى تغيير ، ينبغي أن يتغير . وليست طباعك شيئاً ثابتاً ، فكما إكتسبتها يمكن أن تكتسب عكسها . أما طبيعتك فهي صورة الله ومثاله . وكل ما فيك من أخطاء ، عبارة عن أشياء عارضة . فارجع إلى صورتك الإلهية ، فهي طبيعتك الحقيقية .

إمسك شخصيتك ، وأعد تشكيلها من جديد ، في هذه الجلسة الضميرية التي تجلسها مع نفسك . والصفات الجديدة التي تلزمك ، إبحث كيف تقتنيها ، ولو بتدريب تغصب عليها إرادتك ، وتصارع فيها مع الله ليعينك .

وليكن العام الجديد ، عاماً جديداً في كل شيء .

إحرص في جلستك مع نفسك ، التي تجلس فيها مع الله ، أن تخرج منها وقد تغير فيك كل ما يجب تغييره من أخطاء ونقائص . تخرج منها بخط سير جديد في الحياة ، وبطباع جديدة ، يحس بها كل من يختلط بك .

وحاول أن توجه كل طاقاتك توجيهاً سليماً ...

فمثلاً توجد فى داخل نفسك طاقة غضبية ، يمكن أن توجهها نحو نفسك فى أخطائها ، ويمكن أن توجهها نحو الناس . فاحرص أن يكون توجيهها سليماً ، بعيداً عن الذاتية ، خالصاً من أجل الله ، وبأسلوب روحى لا أخطاء فيه .

وفى داخلك أيضاً توجد طاقة حب ، حاول أن تجعلها تسير بتوجيه سليم ، فتكون لك أولاً ، ولمخير ثانياً ، وللناس فى نطاق حب الله وحب الخير . واحرص فى جلستك مع نفسك أن تجعل هذه الطاقة لا تنحرف . ولا تجعل حباً على حساب حب ...

كذلك كل مواهبك التى منحك الله إياها ، فلتكن موجهة توجيهاً سليماً لله والخير . كالذكاء مثلاً ، هو موهبة من الله . لا تتخذه للإضرار بغيرك ، أو للفخر والكبرياء ، أو لمجرد الإنتصار فى الجدل والمناقشة ، أو لتنفيذ رغباتك الخاطئة .

وليكن العام الجديد عاماً منتصراً فى حياتك ...

إستعرض فى جلستك مع نفسك النواحى التى تنهزم فيها روحياً . وقل لنفسك ينبغى أن أحيا حياة النصرة ، فلا أنهزم فى كذا وكذا ، بل يقودنى الرب فى موكب نصرته ، ويعطينى الوعود التى وعد بها الغالبين (رؤ ٢ ، ٣) .

ليكن عاماً فيه نمو روحى ، وتقدم وصعود إلى فوق ...

ولذلك قرر فى جلستك ، أن تبعد عن العثرات ...

وكل إنسان له فى حياته ما يعثره شخصياً ، فافحص ما هى عثراتك ، وابعد عنها «إن كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها والقها عنك ... وإن كانت يدك اليمنى تعثرك ، فاقطعها والقها عنك ...» (مت ٥ : ٢٩ ، ٣٠) . إلى هذا الحدة يريدنا الرب أن نبعد عن العثرات . فكن حاسماً فى هذا الأمر . وكما تبعد عن العثرات ، إحرص أيضاً أنك لا تكون عثرة لغيرك ... وتذكر قول الرب :

أذكر من أين سقطت ، وتب (رؤ ٢ : ٥) .

وفى ذلك لا تتساهل مطلقاً ، ولا تسامح نفسك ولا تدللها . وإن احتاج القيام من سقطتك ، أن تؤدب نفسك وتعاقبها حتى لا تعود إلى أخطائها ، فكن شديداً فى تأديبك لنفسك . وخذ حق الله كاملاً منها . لأنه ينبغى أن تحب الله أكثر من نفسك . لأنه قال : من ضيع نفسه من أجلى يجدها (مت ١٠ : ٣٩) وقال إنه من أجله ينبغى أن

تبغض حتى نفسك (لو١٤ : ٢٦) . فبذلك تحفظها لحياة أبدية...

حاسب نفسك وبكتها . ولكن إحترس من شيطان اليأس ...

كن حكيماً فى محاسبتك لنفسك ، وحكيماً فى تبكيتها وتأديبها . وإن وجدت فى محاسبتك لنفسك أن الكآبة القاتلة ستملك عليك ، وتدفعك إلى اليأس ، تذكر حينئذ مراحم الله ، ووعوده ، وتحويله الخطاة إلى قديسين... حينئذ يمتلىء قلبك بالفرح الروحانى ، كما قال الرسول : « فرحين فى الرجاء » (رو١٢ : ١٢) .

وفى جلستك مع نفسك ، لا تركز فقط على التوبة ، إنما تذكر أيضاً أنه مطلوب منا القداسة والكمال ، فقد أوصانا الكتاب قائلاً :

كونوا قديسين ... كونوا كاملين ...

« نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين ... لأنه مكتوب : كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١ بط ١ : ١٥، ١٦) . وقال الرب أيضاً «فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) .

إن التوبة هى مجرد الخطوة الأولى إلى الله . وهناك خطوات أخرى كثيرة بعدها ، لنصل إلى حياة الكمال . فيجب ألا نركز على التوبة وحدها ، وإلا كان جهادنا كله فى التخلص من السيئات ، دون أن ننتقل عملياً إلى الايجابيات...

إن ترك الخطية هو نقطة الإبتداء وعمل المبتدئين ...

فلا نقف إذن عند هذه النقطة ، وإنما نتجاوزها سائرين نحو القداسة . أما إن كنا لم نصل بعد إلى عمل المبتدئين هذا ، فنحن إذن لسنا أعضاء فى جسد الرب كما أراد لنا أن نكون... إن كنا ما نزال نقع ونقوم ، وبعد أن نقوم ، نقع مرة أخرى ، فنحن لم نصل إلى التوبة بعد . لا يا أخوتى لا يجوز أن نسير الأمور هكذا...

لا يجوز أن نقضى حياتنا فى مرحلة التوبة ...

ليس من صالحك أن تقضى عمرك كله ، صراعاً ضد الخطية ، وجهاداً للوصول إلى التوبة . إنما علينا أن نسرع فى الطريق لنصل إلى الله ، ونتمتع بعشرة الملائكة والقديسين... ونتنعم فى درجات القداسة وفى طريق الكمال .

وليكن هذا العام مباركاً عليكم ... يعطيكم الرب نعمة فيه ، توصلكم إليه .

لوم النفس

- لمعرفة حقيقة النفس ...
- لكى لا نـلوم الاخرين ...
- لتنقية النفس وإصلاحها..
- للمساعدة على الإعتراف ..
- للتوبة ونوال المغفرة ...
- للحصول على الاتضاع ..
- لكسب فضيلة الدموع ..
- للصلح والسلام مع الناس..
- للنمـــو الروحى ...

محاضرة القيت فى الكاتدرائية الكبرى مساء الجمعة ١٩٧٧/١٠/٢٩

باسم الآب والإبن والروح القدس ، الإله الواحد آمين

هوذا نحن على أبواب عام جديد ، ومن المعروف أن كل إنسان يجب أن يبدأ عامه الجديد بالتوبة والنقوة ، وطبعاً يبدأه بالإعتراف . وهذا الأمر يحتاج منه إلى جلسة مع نفسه لكي يحاسبها و يلومها على أخطائها .

لذلك أحب أن أقول لكم كلمة مختصرة عن فضيلة لوم النفس .

لأن الذى ليست له فضيلة لوم النفس ، لا يعرف أن يجلس مع نفسه . وإن جلس مع نفسه لا يستفيد .

ومادام لا يلوم نفسه ، إذن فسوف لا يعترف بخطاياه ، و بالتالى سوف لا يتوب ، و يظل العام الجديد كسابقه ، بنفس أخطائه ! لذلك أود أن أكلمكم عن أهمية لوم النفس ، وعن الفضائل التى يحصل عليها الإنسان من لومه لنفسه .

١ لوم النفس

الذى يلوم نفسه ، يستطيع أن يعرف حقيقة نفسه ...

كثير من الناس نفوسهم مغلفة بالتبريرات والأعذار والفهم الخاطىء . وهم لا يلومون أنفسهم ، لأنهم يدللون أنفسهم ، و يعذرون أنفسهم فى كل شىء . إنهم لا يغيبون إطلاقاً أن يأتوا باللائمة على أنفسهم ، لذلك لا يعرفون حقيقة دوائهم . وقد تبقى ذات كل منهم جميلة فى عينيه ، على الرغم من كل نقائصها !

مثل هذا الإنسان ، الذى لا يلوم نفسه ، وبالتالى لا يعرف حقيقة نفسه ، هو محتاج أن يأتيه اللوم من الخارج .

هو فى حاجة إلى إنسان من الخارج يلومه ، و يعرفه حقيقة نفسه ، و يفهمه أخطاءه ومواضع الزلل فى تصرفه ، بل و يعرفه مقدار عمق خطيئته ، و يبكته عليها مادام ضميره لم يبكته .

وقد فعل الله هذا مع داود ، حينما أرسل إليه ناثان ، ليلومه و يعرفه كم هو مخطىء ، و يقنعه أن يقول « أخطأت إلى الرب » (٢صم١٢ : ١٣) .

وفى مرة أخرى ، لم يكن داود يلوم نفسه أيضاً ، فأرسل له الله أبيجايل لتعرفه مقدار الخطأ الذى كان هو مزمعاً أن يقع فيه ، لكى تمنعه عن ذلك . وفعلاً

إستجاب داود وقال لها « مباركٌ عقلك ، ومباركة أنت ، لأنك منعتني اليوم عن إتيان الدماء وانتقام يدي نفسي » (١صم ٢٥ : ٣٣) .

إذن إن كان الإنسان لا يلوم نفسه على أخطائه ، بعد فعلها ، أو على أخطائه التي هو مزمع أن يفعلها ، فقد يرسل له الله من يلومه ، كما أرسل أبيجايل وكما أرسل ناثان . ولكن الأفضل أن يكون القلب من الداخل سليماً ، فيلوم الإنسان نفسه . ولذلك قال القديس مقاريوس الكبير :

أحكم يا أخي على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك .

إن حكمت على نفسك ، فإنك سوف تعرف حقيقتها وكم هي خاطئة . وإن عرفت حقيقة نفسك ، فإنك سوف تدينها وتحكم عليها . هذه توصل إلى تلك ...

كل إنسان لم يحكم على نفسه ، ولم يلم نفسه ، هو إنسان لم يعرف نفسه بعد : لم يفحصها ، لم يحاسبها ، لم يكن صريحاً معها .

هناك فائدة أخرى للوم النفس ، وهي :

٢ عدم إدانة الآخرين

إن الذي يلوم نفسه ، يحس بها وبخطوبها . وفي خجله من أخطائها ، لا ينظر إلى خطايا غيره . وفي ذلك قال القديسون :

الذي ينشغل بخطاياه ، لا يكون له وقت يدين فيه خطايا أخيه .

إن استطاع أن يبصر الخشبة التي في عينه ، يخجل من التحدث عن القذى التي في عين أخيه ... وربما كلما تحدث عن غيره ، يقول : هذا أفضل ، وهذا أبر مني . ومهما كانت خطايا فلان ، فإن خطاياي أنا أكثر وأبشع ...

أما الشخص البار في عيني نفسه ، فإنه يجلس ويلوم الآخرين !

وربما في نقائصه وعيوبه ، يأتي باللائمة على غيره .

فإذا أخطأ يأتي باللائمة على الناس ، وعلى الظروف ، وعلى البيئة ...

على الناس الذين أوقعوه في الخطيئة ، كما حدث لآدم إذ ألصق السبب في خطيئته بحواء ... وقد يلصق الإنسان السبب ، بالظروف المحيطة ، كما برر إيليا هروبه بقوله للرب « قتلوا أنبياءك بالسيف ... وهم يطلبون نفسي ليأخذوها » (١مل ١٩ :

١٤)... وقد يلصق السبب بالبيئة ، كما حدث أن أبانا إبراهيم قال عن زوجته سارة إنها أخته! ثم حاول أن يغطي ذلك بقوله «إني قلت : ليس في هذا الموضع خوف الله البتة ، فيقتلونني لأجل إمرأتي» (تك ٢٠ : ١١) .

ولو كان إبراهيم يلوم نفسه ما قال هذا . وكذلك لو كان أبونا آدم يلوم نفسه ، ما لام حواء ، ولو كان إيليا النبي يلوم نفسه ، ما لام الظروف !

ولكن الإنسان يلوم غيره ويدينه ، لكي يبرر نفسه .

لأنه لا يريد أن يلوم نفسه ، ولا يريد أن يلومه الناس ، فيلصق خطيئته بغيره ، ليخرج هو بريئاً ... !

كثيرون يغسلون أيديهم بالماء ، كما فعل بيلاطس وقال « أنا برىء ... » « برىء من دم هذا البار » . أترى استطاع ذلك الماء أن يبرىء بيلاطس ؟!

خير للإنسان أن يلوم نفسه ، من أن يبرر نفسه .

والذى يلوم نفسه ، يعرف ضعفه ، فيعذر غيره ولا يدينه .

كما حدث للقديس موسى الأسود ، الذى رفض أن يدين راهباً مخطئاً عقد له مجمع لإدانته . حمل هذا القديس على ظهره كيساً مملوءاً بالرمل ومثقوباً . ولما سئل فى ذلك قال « هذه خطاياى وراء ظهرى تجرى ، وقد جئت لإدانة خطايا أخى ... » !

الذى يلوم نفسه ، إن سئل عن خطايا شخص آخر ، يقول لسائله : إسألنى عن خطاياى أنا . أما ذلك الإنسان فهو أبر منى . أخاطىء هو؟ لست أعلم (يو ٩ : ٢٥) .

الذى يلوم نفسه ، لا يقسو فى الحكم على خطايا الآخرين ، كما فعل الفريسيون الذين طلبوا رجم المرأة الخاطئة ، فقال لهم السيد المسيح :

من كان منكم بلا خطية ، فليقذفها أولاً بحجر (يو ٨ : ٧) .

ذلك لأن الذى يقذف بالحجارة ، إنما يظن فى نفسه أنه بلا خطية ، أو على الأقل يكون فى ذلك الحين ناسياً خطاياه ، وليس فى وضع من يلوم نفسه . أما الذى يلوم نفسه ، فإنه يقول فى فكره «من أنا حتى ألوم الناس؟ أنا الذى فعلت كذا وكذا... الأولى بى أن أصمت مادام الله قد سترنى... ترى لو سمح الله أن أنكشف ، أكنت أستطيع أن أتكلم .

هذا شعور من يضع خطيئته أمامه فى كل حين (مز ٥٠) .

ولكن للأسف فإن كثيرين ، من أجل راحة نفسية زائفة ، أو من أجل كبرياء داخلية وبحد باطل ، وليس من أجل أبديتهم ، لا يحبون أن يتذكروا خطاياهم ، ولا أن يلوموا أنفسهم ، كما لا يقبلون أن يأتيهم اللوم من آخرين ! ... يحبون أن ينسوا خطاياهم ، وفى نفس الوقت يذكرون خطايا الناس ... ! وما الفائدة لهم من كل هذا ، سواء فى السماء أو على الأرض ؟! لا شىء . حقاً ما أجمل قول القديسين :

إن دِنّا أنفسنا ، رضى الديان عنا .

من فوائد لوم النفس أيضاً : إصلاح الذات وتنقيتها .

٢ إصلاح الذات وتنقيتها

الذى يلوم نفسه ، يكون مستعداً لإصلاح ذاته .

ما دمت أعرف أن هذه خطية ، يكون عندى إذن إستعداد لكى أتركها . ولكن كيف يمكن لإنسان أن يترك شيئاً ، مادام لا يلوم نفسه إطلاقاً على عمله ؟! إذن لوم النفس يسبق بلا شك تنقية النفس من أخطائها . هو خطوة أولى إلى التوبة .

أما تبرير الذات ، فهو شيطان يلتهم التوبة ويفترسها .

إن وجد الشيطان إنساناً يلوم نفسه ، ويريد أن يترك الخطية ويتوب ، يحاول الشيطان أن يخرجه من هذا النطاق الروحى ، ويقول له : لا تظلم نفسك بلا داع . فى أى شىء أخطأت ؟ إن الموقف كان طبيعياً جداً . لك عذرك فى هذا الأمر . والمسئولية تقع على فلان وفلان . أو أن الظروف كانت ضاغطة . والضغوط الخارجية إضطرتك إلى هذا . والناس مقدرون هذه الظروف ، وترب بقدرها . فلا تحزن نفسك بلا سبب ... !

هذا هو كلام الشيطان ، أسلوب تبرير الذات . أما القديسون فيقولون :

فى كل ضيقة تحدث لك ، قل هذا بسبب خطاياى .

إنك لن تخسر شيئاً إذا لُمت نفسك . بل إن هذا يقودك إلى التوبة إن كنت مخطئاً ، ويمنحك روحياً إن كنت بريئاً .

في إحدى المرات زار القديس الأنبا ثاوفيلس جبل نتريا ، والتقى بأب الرهبان المتوحدين في هذا الجبل ، وسأله : ماذا عن أعظم الفضائل التي أتقنوها طول ذلك الزمان في الوحدة ، فأجاب القديس أب رهبان نتريا :

صدقني يا أبي لا يوجد أفضل من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه في كل شيء ...

فائدة أخرى للوم النفس ، وهي أنه يساعد على الاعتراف :

٤ المساعدة على الاعتراف

ما هو الاعتراف في معناه الروحي ؟

الاعتراف هو أن يدين الإنسان نفسه ...

يدين الإنسان نفسه أمام الله ، وفي سمع الأب الكاهن ، لينال المغفرة . فإن كان الإنسان لا يلوم نفسه ، كيف سيعترف إذن وكيف ينال المغفرة؟

الخطوة الأولى هي بلا شك ، أن يدين نفسه فيما بينه وبين نفسه ، في داخل قلبه وداخل فكره . حينئذ يمكنه أن يعترف بهذه الخطية أمام الله في صلواته ، ثم يمكنه أن يعترف بها أمام الكاهن ... أما الذي يفقد الخطوة الأولى ، التي هي لوم النفس ، فمن الطبيعي أنه سيفقد باقي الخطوات ...

ولذلك ، فالذي لا يلوم نفسه ، لا يعترف ... على الأقل لا يعترف بالنقط التي لا يلوم نفسه عليها ... وقد يجلس مع أب الاعتراف وقتاً طويلاً ، ومع ذلك لا يعترف ... وكيف ذلك ؟

بعض الناس تتحول اعترافاتهم إلى شكوى ، ضد غيرهم !

هم يشكون ظروفهم ، في البيت ، أو في العمل ، أو في الكنيسة ... مثل زوجة تجلس مع الأب الكاهن لتعترف ، فتحكي سوء معاملة زوجها لها . فتعترف بخطايا زوجها ، وليس بخطاياها هي . أو تعترف بمشاكل ومتاعب تحيط بها . أما نفسها فلا تقول عنها شيئاً . لأنها لم تجلس أولاً لكي تلوم نفسها قبل الاعتراف !

وهناك من في اعترافه ، يدين أب الاعتراف نفسه !

يقول له : إنت يا أبانا مقصر في حقي ، لا تفتقدني ، لا تهتم بي ، لا تعطيني

تداريب روحية ، لا تحل مشاكل ، لا تتابع حياتى الروحية ، لا تصرخ من أجلى لأن خطاياى ومشاكل مازالت كما هى باقية... أنت يا أبى لا تسأل عنى... !

فهل هذا يمكن أن نسميه إعترافاً ؟! حيث ينسى الإنسان نفسه ونقائصها ، ولا يلوم نفسه... بل يجعل حسب ضعفاته ، عدم إهتمام أب الإعتراف به . فيلوم أب الإعتراف ، بدلاً من أن يلوم نفسه...

ثم بعد ذلك يطلب تحليلاً ... ! تحليلاً عن ماذا ؟!

إننا نريد أن تبدأوا هذا العام بالإعتراف السليم .

بلوم النفس أمام الله ، فى إقتناع كامل بكل أخطائها ونقائصها ، وبدون تقديم أعذار أو تبريرات للتخفيف من ثقل خطاياها... ولا نقف أمام الله لنشكو غيرنا ، إنما لنشكو أنفسنا التى تعدت كثيراً على وصاياه...

لذلك إجلسوا إلى أنفسكم وحاسبوها ، وفتشوا على نقائصكم .

حاولوا أن تبصروا كل ما فيكم من عيوب ، لكى تستطيعوا أن تتخلصوا منها وتتنقوا... فالجلوس مع النفس هو تمهيد للوم النفس ، ولوم النفس هو تمهيد للإعتراف والتوبة . وهذا ما نريد أن نبدأ به عامنا الجديد...

نلوم أنفسنا أمام ذواتنا ، وأمام الله ، وأمام الأب الكاهن ...

وهكذا لوم النفس يقودنا إلى المغفرة . وهذه فائدة أخرى .

٥ يقود إلى المغفرة

ما الذى يغفره لك الله ، هو ما تعترف بأنك أخطأت فيه .

أما الذى تقول إنك لم تخطىء فيه ، طبيعى إنك لا تطلب عنه مغفرة ، وبالتالى لا تنال مغفرة عنه إن كان فى واقعه خطأ .

إن كنت تعرف أنك مريض ، فسوف تسعى إلى الطبيب لكى تشفى... وأما إن أصررت على أنك سليم وصحيح ، فحينئذ ستسمع قول الرب :

لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى (مت ٩ : ١٢) .

إن العشار الذى لام نفسه وقال « إنى خاطىء » إستحق أن يخرج من الهيكل مبرراً . بعكس الفريسى الذى لم يجد شيئاً يلوم عليه نفسه فقال : أشكرك يارب إنى

لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة (لو ١٨ : ١١) .

حقاً ما الذي يمكن أن يغفره الله لهذا الفريسي (البار) ؟!

أية خطيئة يغفرها لهذا البار في عيني نفسه ، الذي لم يعرض خطيئة واحدة أمام الله طالباً عنها مغفرة... لو كان خاطئاً مثل العشار ، لكان يطلب الرحمة مثله . ولكنه يفتخر قائلاً إني « لست مثل هذا العشار » . لم يعترف بخطايا تحتاج إلى غفران ، ولم يطلب غفراناً . فأبعد نفسه عن المغفرة وعن التبرير بدم المسيح .

كذلك لم يقل الكتاب إن الله قد برر الإبن الأكبر ، الذي هو أيضاً لم يجد شيئاً يلوم عليه نفسه ، بل أكثر من هذا غضب وثار اللوم على أخيه وعلى أبيه فقال له « أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أخالف وصيتك . وجدياً لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي ... » (لو ١٥ : ٢٩) .

حقاً أية مغفرة تعطى لمن يقول : قط لم أخالف وصيتك .

ونفس هذا الإبن لم يطلب مغفرة ، لأنه لم يجد في تصرفاته خطأ واحداً يحتاج إلى مغفرة ؟!

أما أخوه الأصغر فقد تبرر لأنه لام نفسه وقال لأبيه « أخطأت إلى السماء وقدامك . ولست مستحقاً أن أدعى لك إبناً ... » .

إذن إن كنت لا تدين نفسك فأنت تبدو باراً في عيني نفسك ، بينما السيد المسيح قد قال :

ما جئت لأدعو أبراراً ، بل خطاة إلى التوبة (مت ٩ : ١٣) .

وبهذا تكون خارج نطاق المسيح . ولم يأت لأجلك .

إنه جاء من أجل الخطاة . جاء يطلب ويخلص ما قد هلك (لو ١٩ : ١٠) . جاء من أجل المرضى ليشفيهم . جاء ليبشر المنكسري القلوب ...

فهل أنت من هؤلاء ؟ إنك تكون منهم في حالة ما تلوم نفسك وتدينها . أما إن كنت ترى نفسك باراً وحكيماً ولا عيب فيك...

فكأنك تقول : لا شأن لي بدم المسيح وكفارته .

إن دم المسيح هو لمحو الخطايا . إعترف إذن بخطاياك ، لكي يكون لك نصيب فيه ، ولكي ينضح عليك بزوفاه فتطهر ، وتنال المغفرة . لماذا تبعد نفسك عن دم المسيح وفاعليته ؟!

على أنى أقول لكم فى هذا المجال ملاحظة مؤلمة وهى :

كثيرون يقولون إنهم خطاة . وداخلهم لا يعترف بهذا .

كلمة « خاطىء » قد ينطقها الواحد منهم عن نفسه ، بشفتيه فقط ، ليبدو متضعاً . ولكنه فى داخل نفسه غير مقتنع بأنه مخطىء . وإن قلت له إنك مخطىء ، يثور عليك ، ويدافع بشدة عن نفسه...

ونحن لا نقصد أن يلوم الإنسان نفسه ملامة باطلة زائفة .

فهذه الملامة الشكلية الباطلة ، هى غير مقبولة أمام فاحص القلوب والكلى... إنما حينما نقول لك أن تلوم نفسك ، نقصد أن تكون مقتنعاً فى أعماقك إقتناعاً كاملاً بأنك مخطىء . وهذا اللوم الحقيق لنفس هو الذى به تستحق المغفرة...

لوم النفس يقود إلى المغفرة . ويقود أيضاً إلى الإتضاع...

٦ لوم النفس يقود إلى الإتضاع

الذى يلوم نفسه ، يصل إلى الإتضاع وانسحاق القلب ، ولا يكون كبيراً أو باراً فى عينى نفسه ، لأنه بلومه لنفسه يدرك نقائصه وضعفاته .

الشخص المتضع ، بإتضاعه يصل إلى لوم النفس .

والذى يلوم نفسه ، يصل بذلك إلى الإتضاع .

كل واحدة من هاتين توصل إلى الأخرى ، لأنهما مترابطتان . إن بدأت بأى منهما ، يمكن أن تصل إلى الأخرى . وكل واحدة منهما ، تكمن الأخرى فى داخلها .

إذ كيف يمكن لإنسان أن ينتفخ ، أو يفتخر بنفسه ، أو يكون باراً فى نظر نفسه ، بينما أخطاؤه ماثلة أمام عينيه ؟! يتذكرها فتنحنى نفسه فى داخله...

والمتضع الذى يلوم نفسه ، لا شك يشفق على غيره .

إنه يدرك تماماً ضعف النفس البشرية أمام هجمات الشيطان وحيله ودهائه وإغراءاته ، لذلك فإنه يعذر كل من يسقط ، ولا يقسو عليه مطلقاً فى أحكامه ، متذكراً قول القديس بولس الرسول :

« أذكروا المقيدين ، كأنكم مقيدون معهم » .

« واذكروا المذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد » (عب ١٣ : ٣) .

من أجمل الأمور فى الحياة الروحية ، أنك تكون شديداً على نفسك ، تلومها فى كل خطأ . وعلى العكس من الناحية الأخرى ، تكون شفوقاً على الخطئين ، تحاول أن تعذرهم بقدر ما تستطيع ...

وكما يقود لوم النفس إلى الاتضاع ، يقود أيضاً إلى الدموع ...

(٧) يقود إلى الدموع

الذى يتذكر خطاياه ، ويحزن عليها ، و يبكت نفسه عليها ، يؤهل لموهبة الدموع . والدموع تغسل نفسه من كل خطية ، وتجعله مستحق الغفران ، قريباً إلى الله .

أما الذى لا يلوم نفسه ، فجفاه باستمرار جافتان ، مع قسوة فى القلب ...

المرأة الخاطئة ، فى تذكرها لخطاياها ، بللت قدمى الرب بدموعها فى بيت الفريسى . وكانت دموعها مقبولة أمام الله ، فنالت المغفرة ... ونحن نتذكر دموع هذه المرأة فى صلاة نصف الليل ، فيصرخ القلب قائلاً «إعطنى يارب ينابيع دموع كثيرة ، كما أعطيت فى القديم لمرأة الخاطئة ...» (لو٧ : ٣٨) .

من فوائد لوم النفس ، أنه يؤدى إلى التوبة ، وإلى الاتضاع والإنسحاق والدموع . كذلك هو يؤدى إلى الصلح والسلام مع الناس .

(٨) الصلح والسلام مع الناس

الذى يلوم نفسه يمكنه أن يعيش فى سلام دائم مع الناس .

حتى إن حدث خلاف ، فلوم النفس يسهل أن يتم الصلح .

إن الخصومة تشتد ، حينما يصر كل من الطرفين على موقفه ، و يبرر نفسه مدعياً أن الحق فى جانبه ، وأن الجانب الآخر هو المخطىء . أما إن سلك أحدهما باتضاع ، وأتى بالملامة على نفسه فى هذه الخصومة ، حينئذ ما أسهل أن يتم الصلح ... فالخصم لا يحتمل أن يسمع منك عبارة :

« حقك علىّ . أو أنا غلطان » .

أو قولك له « أنا آسف جداً ، لأنى آلمتك أو أحزنتك » ... وكما قال الحكيم

أن « الجواب اللين يصرف الغضب » (أم ١٥ : ١) .

إن كثيراً من الذين يعاتبونك ، أو غالبية الذين يعاتبونك ، أو كل الذين يعاتبونك ، إنما يريدون أن يسمعوا منك كلمة واحدة ، تلوم بها نفسك ، وتعطيهم الحق ، فينتهى الموضوع عند هذا الحد . ولا ...

فإن تبرير النفس يقود إلى العناد . والعناد يشعل الخصومات .

إن الذى يلوم نفسه ، لا يعاند ، ولا يقاوم ، ولا يخاصم ، ولا يجادل كثيراً ، ولا يرد على الكلمة بمثلها أو بما هو أقسى ... إنما يسلك مسالماً للناس ، مراضياً لخصمه مادام معه فى الطريق ... (مت ٥ : ٢٥) .

إن شيطان الغضب ، وشيطان الخصومة ، وشيطان العناد ، وشيطان الكبرياء ، كل أولئك يقفون فى حيرة كل الحيرة أمام الشخص الذى عنده فضيلة لوم النفس ، لا يعرفون كيف ينتصرون عليه . بل هم يضربون على أسنانهم فى غيظ ، مهزومين أمام هذا الذى لا يبرر نفسه أبداً ، ولا يغضب من أحد ، ولا يخاصم ولا يصيح . وبالجواب اللين والكلمة الطيبة ، وجلب الملامة على نفسه ، يحل كل خصومة ، ويصرف كل غضب ...

إنه يعيش وديعاً هادئاً مسالماً ، يحبه الكل ...

فهو لا ينازع أحداً ، ولا يسمح لنفسه أن يغضب من أحد ، مهما كان الحق فى جانبه ، لأنه يلوم نفسه قائلاً : إن غضبت من هذا الإنسان وثرت عليه ، أكون قد فقدت فضيلة الوداعة ، وفقدت فضيلة الاحتمال ، وفقدت فضيلة الحب وفضيلة السلام مع الناس ... وأكون بهذا مخطئاً ...

وهكذا يلوم نفسه لا على أخطاء إرتكبها ، إنما على أخطاء يحذر نفسه من الوقوع فيها ...

وبهذا يكون حريصاً ومحترساً ، ويتقدم نفسه نحو الكمال .

وهذه نقطة أخرى من فوائد لوم النفس وهى :

٩ يفتح أبواب الكمال والنمو

لوم النفس يساعد على التقدم فى الحياة الروحية . لأن كل شىء يلوم الإنسان

نفسه عليه، يحاول أن يتخلص منه، و يتنق منه، وهكذا يتقدم فى حياته الروحية و ينمو.

كذلك يلوم نفسه فى فضائله، مقارناً إياها بمستويات أعلى.

كل فضيلة يمارسها، بدلاً من أن يفتخر بها، و يعطى مجالاً لشيطان المجد الباطل أن يختطفها منه... نراه يقارن حالته بما وصل إليه القديسون فى هذه الفضيلة، فيرى أنه لا شىء إلى جوارهم، وأن كل ما فعله تافه و بسيط، ولا يقاس بتلك النعم العالية... فيلوم نفسه و يدفعها فى قدام نحو الكمال، فينمو... وهكذا كان يفعل القديس بولس الرسول إذ يقول: ليس إنى قد نلت أو صرت كاملاً. ولكنى أسعى لعل أدرك... أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت، ولكنى أفعل شيئاً واحداً... ونسأله ما هو؟ فيجيب:

أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام (فى ٣ : ١٢، ١٣).

لا يقصد أنه ينسى الخطايا التى فى الماضى، فقد كان يذكر دائماً أنه كان مضطهداً للكنيسة... إنما هو ينسى كل الفضائل التى أتقنها من قبل، لكى يمتد إلى ما هو قدام، ساعياً نحو الغرض. وفى كل فضائله كان يلوم نفسه بعبارة «لست أحسب نفسى أنى قد أدركت».

هذا السبب، كان القديسون يعترفون بأنهم خطاة.

وهذه حقيقة واضحة ندركها كلما تأملنا فى بستان الرهبان، أو سير القديسين، أو صلواتهم: يعترفون باستمرار أنهم خطاة، بل و يبكون على خطاياهم... ونسأل أنفسنا ماذا كانت خطايا القديسين، وهم فى ذلك السمو؟ إنها ليست فقط خطايا الماضى التى غفرها الرب لهم... إنما بالأكثر، نظرهم إلى الفارق الكبير الذى بينهم و بين الكمال المطلوب، فيقول كل منهم مع الرسول:

لست أحسب نفسى أنى قد أدركت (فى ٣ : ١٣).

وهكذا يلوم النفس عن حالتها. كان القديسون يمتدون نحو الكمال...

أما الذى لا يلوم نفسه، أو يرضى بحالته التى هو فيها، فإنه قد يعيش جامداً، مجمداً فى الوضع الذى هو فيه، لا يتحرك منه إلى قدام... لا يفكر فى وضع أفضل، ولا يسعى إلى درجة أعلى، لأنه راض عن نفسه بما قد وصل إليه...!

مثل الذى استقر على مجموعة من المزامير يصليها ، وانتهى به الأمر عند هذا الحد ، دون أن يفكر فى إضافة شىء ، ودون أن يفكر فى عمق الصلاة ، وحرارتها ، وما يمتزج بها من حب وإيمان واتضاع... والامتداد إلى مستوى أعلى بعمق صلته بالله أكثر... !

لنجلس فى آخر هذا العام

نجلس إلى ذواتنا ، ونفكر فى خطايانا ، ونلوم أنفسنا عن عيوبنا ونقائصنا ، ونقارن ما وصلنا إليه بالمستويات العليا التى وصل إليها القديسون... ولا نعذر أنفسنا مهما كانت الظروف ، بل نبعد عن تبرير الذات ، لأن هذا لا يرضى الله ، ولا ينقينا ، ولا يقودنا إلى التوبة...

وفى كل ذلك نربط لوم النفس بفضيلة هامة جداً وهى :

(١٠) الحكمة والإفراز

ينبغى أن يرتبط لوم النفس بالحكمة والإفراز .

فلا يكون مجرد لوم ظاهرى بعيد عن الاقتناع الداخلى ، لأن هذه الفضيلة ليست مجرد فضيلة لسان ، إنما هى فضيلة قلب .

كذلك ينبغى ألا يقودنا لوم النفس إلى اليأس والتعب النفسى ، إنما فى كل لومنا لأنفسنا نحرص على هذا :

أن يكون لوم النفس ، ممزوجاً بالرجاء ...

نلوم أنفسنا على أخطائها ، ونحن مملوءون رجاء فى التخلص من هذه الأخطاء . ونلوم أنفسنا على ضعفها ، ولنا ملء الرجاء فى قوة الله العاملة معنا المعينة لضعفنا... ونلوم أنفسنا على ضعف مستوانا ، ولكن فى رجاء « أمتد إلى ما هو قدام » . نقول « لست أحسب أنى قد أدركت » ، ونقول أيضاً عبارة الرسول « ولكنى أسعى نحو الغرض . أسعى لعلى أدرك » . نلوم أنفسنا لأننا ضعفاء ، ولكن نقول كل مرة :

أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى (فى ٤ : ١٣) .

إذن قف فى ختام هذا العام لكى تعد خطاياك أمام الله ، وتبكت نفسك عليها أمامه ، وتطلب عنها مغفرة... وفى ليلة رأس السنة ، وكلما تقول (يارب ارحم) عدداً

من المرات... في كل مرة أذكر خطية من خطاياك، في ندم عليها، طالباً الرحمة من الله كما طلبها العشار فتبرر.

قل ذلك في انسحاق قلب وليس في روتينية أو شكلية. واذكر العبارة التي قالها القديس الأنبا أنطونيوس الكبير:

إن ذكرنا خطايانا، ينساها لنا الله

وإن نسينا خطايانا، يذكرها لنا الله

أذكرها جميعاً إذن، واطلب من الله قوة، حتى تنتصر عليها في المستقبل.

وفي يوم نفسك أذكر أيضاً إحسانات الله إليك، واشكره...

وابدأ العام بالشكر

مجرد أن الله أعطاك عاماً جديداً، أمر يستحق أن تشكره عليه، لأنه أعطاك فرصة للتوبة، أو لتحسين مستواك الروحي وللاهتمام بأبديتك.

في بداية العام أيضاً، أذكر إحسانات الله إليك.

تذكرها جميعاً واحدة فواحدة، واشكر الله عليها. واذكر مزمور الشكر (مز ١٠٣) الذي قال فيه داود النبي «باركي يا نفسي الرب، ولا تنسي كل إحساناته». وتأمل أيضاً في عبارات صلاة الشكر...

ولا تشكر فقط على إحسانات الله إليك في العام الماضي، إنما أيضاً في كل أيام حياتك. وكذلك إحساناته إلى أحبائك (١) له المجد إلى الأبد آمين.

(١) تأمل حديث في هذه النقطة في كتاب ميلاد ... عن حياة الشكر.

قلبًا جديدًا وروحًا جديدة

مزمور ٥١: ١٠

.. إنه عمل إلهي ...

.. حياة جديدة ...

.. كيف يحدث التغيير؟..

.. صراع مع الله ...

.. تصميم بلا رجعة ...

ألقيت هذه المحاضرة في برايتن عام ١٩٧٢ بالكاتدرائية الكبرى

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

أهنئكم ببداية سنة جديدة. وأحب أن أقول لكم:

نريد أن تكون هذه السنة الجديدة، جديدة في كل شيء.

جديدة في الحياة، في الأسلوب، في السيرة، في الطباع...

يشعر فيها كل منا، أن حياته قد تغيرت حقاً إلى أفضل. وكما قال الرسول «الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥: ١٧).

هناك أشخاص يعترفون، ويتناولون، ويقرأون الكتاب، ويواظبون على حضور الكنيسة والاجتماعات الروحية، ويمارسون كثيراً من وسائط النعمة...

ومع كل هذه الممارسات الروحية، ضعفاتهم ونقائصهم هي هي.

مازالت لهم نفس الطباع، ونفس العيوب، ونفس الشخصية... لم يتغير في حياتهم شيء. تراهم اليوم كما هم بالأمس... لا فارق! وفي السنة الجديدة كما في السنة الماضية... لا تغيير!

الاعتراف عندهم هو تصفية حساب قديم، ليبدأ حساب جديد، بنفس النوع، وبنفس الأخطاء، وبنفس العيوب والنقائص والسقوط!

ونحن لا ننكر قيمة الأسرار الكنسية وفاعليتها، لمن يسلك فيها بطريقة روحية سليمة. فبلا شك الاعتراف له عمله، والتناول له فاعليته، وحضور الكنيسة له تأثيره. ولكن هؤلاء الأشخاص لم يأخذوا القوة الموجودة في الأسرار، إنما رأوها، وجازوا مقابلها...!

ونحن نريد أن نستغل هذا العام الجديد، لنعمل فيه عملاً لأجل الرب، ويعمل الرب فيه عملاً لأجلنا. ونقول فيه:

كفى يارب علينا السنوات القديمة التي أكلها الجراد.

تكفي السبع سنوات العجاف التي مرت علينا، بلا ثمر.

ولا داعي لأن تستمر الضعفات القديمة...

نريد أن نبدأ معك عهداً جديداً وحياة جديدة، نفرح بك وبسكناك في قلوبنا، ويتجدد مثل النسر شبابنا. فيهتف كل منا: إمنحني بهجة خلاصك... قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله. وروحاً مستقيماً جدد في أحشائي (مز ٥١).

وأريد بهذه المناسبة أن أقرأ معكم بعض آيات هامة جداً في هذا الموضوع من سفر حزقيال النبي.

ولاحظوا في هذه الآيات، أن الرب يحدثنا عن الدور الذي يقوم به هو من أجلنا، وليس عن عملنا نحن.

إنه يقول: أرش عليكم ماءً طاهراً، فتطهرون من كل نجاساتكم، ومن كل أصنامكم أطهركم...

وأعطيكم قلباً جديداً. وأجعل روحاً جديدة في داخلكم
وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم
وأجعل روحي في داخلكم
وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي وتعملون بها
... وتكونون لي شعباً، وأنا أكون لكم إلهاً
وأخلصكم من كل نجاساتكم ...

(حزقيال ٣٦ : ٢٥ - ٢٩)

إذن الله نفسه، هو الذي سيعمل فينا هذا التغيير...

هو الذي سينزع القلب الحجري، وهو الذي سيعطي القلب الجديد، وهو الذي سيسكن روحه القدوس في قلوبنا، وهو الذي سيطهرنا من نجاساتنا، ويخلصنا منها... كل ذلك عبارة عن عمل إلهي هو...

حقاً إننا نتوه في الحياة، إن كان كل عمل التوبة في نظرنا، هو عمل ذراعنا البشري الذي نتكل عليه!

ويقف الأمر عند هذا الحد ... !

وهكذا كلت وضعفت وانهارت كل أذرعتنا البشرية، ولم يتغير فينا شيء، وقد نكمل الطريق... وننسى قول الرب لنا «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم» (مت ١١ : ٢٨).

أنا أريحكم. أخلصكم من كل نجاساتكم، أنزع منكم قلب الحجر، وأعطيكم

قلباً جديداً وروحاً جديدة . وأسكن فى قلوبكم... إنه عمل إلهى : إن تركتموه ، واعتمدتم على مواهبكم البشرية ، ستفشلون كما أنتم... متعبين ، وتقبل الأحمال...

لذلك حسناً قال مار اسحق عن عمل الله فى التوبة :

« الذى يظن أن هناك طريقاً آخر للتوبة غير الصلاة ، هو مخدوع من الشياطين »...

لا شك أن عدوك قوى ... طرح كثيرين جرحى ، وكم قتلاء أقوياء (أم ٧ : ٢٦)... ولكن الله أقوى من عدونا هذا . وهو قادر أن يغلبه فينا ، ويخلصنا من كل خطايانا ، إن كنا نلجأ إلى معونته الإلهية .

لذلك فلنمسك بالرب فى بداية هذا العام الجديد ...

نمسك به من أعماقنا ، ونقول له : أنت لا تقبل بارب مطلقاً ، أن يكون العام الجديد بنفس ضعفات وسقطات العام الماضى . مستحيل يارب أن ترضى بهذا . مستحيل ! إذن فاعطنا قوة لكى ننتصر بها...

إننا سنتمسك بمواعيدك التى ذكرتها فى سفر حزقيال النبى .

لقد وعدتنا . وأنت أمين فى مواعيدك . حقق وعودك لنا ...

قلت لنا على فم عبدك حزقيال « أعطيكم قلباً جديداً » . فأين هو هذا القلب الجديد ؟

وقلت « أنزع منكم قلب الحجر » . وللآن لم ينتزع . فاعمل يارب عملاً . نفذ وعودك . فتح هذه الأرض . وكما قلت فى القديم ليكن نور ، فكان نور ، ورأيت النور أنه حسن . فى أيضاً هذه العبارة مرة أخرى .

« ارنا يارب رحمتك ، واعطنا خلاصك » (مز ٨٥ : ٧) .

أعطنا هذا القلب الجديد ، واعطنا تجديد أذهاننا (رو ١٢ : ٢) .

حياة جديدة

ما أكثر الذين ساروا مع الرب ، وأعطاهم أسماء جديدة ، وكان ذلك رمزاً للحياة الجديدة ، التى عاشوها معه ...

إبرام : أعطاه الرب إسماً جديداً هو إبراهيم ،

وساراى : أعطاها الرب إسماً جديداً هو سارة ،

وشاول الطرسوسي : صار له إسم جديد هو بولس ،

وسمعان : صار إسمه الجديد هو بطرس .

ولاوى : أعطاه الرب إسماً جديداً هو متى .

وكان كل ذلك رمزاً للحياة الجديدة التي عاشها كل هؤلاء القديسين مع الرب . وكان الإسم الجديد يذكرهم بها .

مثلما نرسم كاهناً ، ونعطيه إسماً جديداً فى الكهنوت .

لكى يشعر أنه دخل فى حياة جديدة مكرسة للرب ، غير حياته الأولى . وأنه نال نعمة جديدة لم تكن عنده ، وأخذ سلطاناً جديداً لم يكن له . وصارت له مسئوليات جديدة قد وضعت على عاتقه... بل حتى شكله يتغير من الخارج ، وملابسه تتغير . و يشعر أن شيئاً جديداً قد دخل فى حياته... جعل هذه الحياة تتغير فى طابعها وأسلوبها ومسئولياتها...

وأنت فى السنة الجديدة ، هل تشعر بتغيير فى حياتك ؟

لا تجعل هذه السنة تمر عليك ، وكل ما فيها من التغيير هو بعض التفاصيل البسيطة... لا ، فالكتاب لم يقل تفاصيل . وإنما قال « انزع قلب الحجر ، وأعطيكم قلباً جديداً... » .

والسيد المسيح يشرح لنا طبيعة هذا التغيير ، فيقول :

« ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق . لأن الملء يأخذ من الثوب ، فيصير الخرق أردأ » .

« ولا يجعلون خمراً جديدة فى زقاق عتيقة . لئلا تنشق الزقاق ، فالخمر تنصب ، والزقاق تتلف . بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة ، فتحفظ جميعاً » (مت ٩ : ١٦ ، ١٧) .

إذن لا نضع رقعة جديدة على ثوب عتيق ...

أى لا تكون كل الجدة فى هذه السنة ، أن نضع تصرفاً روحياً ، أو تدريباً روحياً ، أو سلوكاً جديداً فى نقطة ما... كل ذلك على نفس النفسية ونفس الطباع ، ونفس النقائص والضعفات . و يبدو هذا التصرف من كرقعة جديدة على ثوب

عتيق... المطلوب إذن، هو أن يتغير الثوب كله.

تخلع الثوب العتيق، الذى هو قلبك الخالى بكل أخطائه...

قلبك الخالى من محبة الله، الخالى من النقاوة والطهارة، بل الخالى حتى من مخافة الله، إذ تسكنه محبة العالم... هذا القلب كله، يجب أن ينزع من داخلك، ويحل محله قلب جديد. كما نقول فى صلواتنا، ونحن نصلى المزمور الخمسين:

«قلباً نقياً، إخلق فىّ يا الله».

ما معنى كلمة إخلق؟ ولماذا لم تقل رمم هذا القلب، أو أصلحه، أو جمّله؟ لماذا نقول «قلباً نقياً إخلق فىّ يا الله. وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى»؟ أليس المعنى هو أننا نريد شيئاً جديداً... وليس مجرد رقعة من سلوك معين توضع إلى جوار طباعنا الخاطئة؟!

إنها عملية تجديد مستمرة نطلبها فى حياتنا كل يوم...

تجديد الطبيعة نأخذه فى المعمودية (غل ٣ : ٢٧)، (رو ٦ : ٣، ٤). أما تجديد السيرة، وتجديد الذهن (رو ١٢ : ٢) فنأخذه فى التوبة باستمرار. فنقول «روحاً مستقيماً جدده فى أحشائى» (مز ٥٠). ويرد علينا «يتجدد مثل النسر شبابك» (مز ١٠٣ : ٥).

إنها عملية تجديد مستمرة، يعملها الرب فى حياتنا، ونطلبها كل يوم فى مزاميرنا. وليست مجرد حادثة عارضة نذكرها فى تاريخ معين.

إنه تجديد يشمل القلب كله، والحياة كلها...

ومن الأمثلة التى تناسبنا هنا: مثال الفحمة والجمرة:

تصور مثلاً قطعة سوداء من الفحم، كل من يمسها يتسخ منها. هذه الفحمة دخلت فى المجمرة (الشورية)، وتحولت من فحمة إلى جمرة... أخذت حرارة لم تكن فيها. وأخذت ضياء ولهيباً وإشراقاً لم يكن لها. بل حتى لونها الأسود صار يحمر ويتوهج. وبعد أن كانت وهى فحمة توسخ كل من يمسها، أصبحت وهى جمرة تطهر.

مثال ذلك ما قيل من أن واحداً من الساروفيم، لما سمع أشعياء يقول «ويل لى قد هلكت، لأنى إنسان نجس الشفتين...»، أخذ جمرة من على المذبح، ومس

بها فم أشعياء، وقال له «هذه قد مست شفتيك، فانتزع إثمك» (أش ٦ : ٧)... لأن النار تطهر كل شيء... النار التي ترمز إلى روح الله.

فهل أنت في حياتك فحمة أم جمرة ؟

هل دخل في طبيعتك شيء جديد، بعمل روح الله الناري فيك ؟ هل في هذا العام الجديد، وضعك الله في مجمرته المقدسة، وأصبحت تخرج منك رائحة بخور؟ هل تحس سكنى الله فيك و وعمل الله فيك ؟

إن لم يعمل الله فيك، فباطل كل ما تعمله.

لا بد أن يسكن النور فيك، فلا تعود بعد ظلمة. ولا بد أن يسكن الحق فيك، فلا تكون باطلاً. لا بد أن تسكن فيك الحرارة، فلا تكون بارداً ولا فاتراً وهذه السكنى تغير حياتك كلها...

كيف يحدث التغيير

كيف يدخل هذا التغيير إلى حياتك ؟

إنك لن تتغير بحق، إلا إذا دخلت محبة الله إلى قلبك.

إسأل نفسك بصراحة : ما سر عدم الثبات في حياتك ؟ لماذا تقوم وتسقط، وتعلو وتهبط ؟ ما السبب ؟ ما هي مشكلتك الحقيقية في حياتك الروحية ؟ إن مشكلتك هي بكل صراحة :

إنك تريد أن تحب الله، مع بقاء محبة العالم في قلبك.

فأنت تحب العالم، وفيه شهوات تعرفها. غير أنك - من أجل الله - تحاول أن تقاوم هذه الشهوات... تقاومها من جهة النفس، مع بقائها من جهة الحب. في قلبك إثنان لا واحد. ينطبق عليك قول أحد الأدباء :

« وكنت خلال ذلك، أصارع نفسي وأجاهد، حتى كأني إثنان في واحد : هذا يدفعني، وذاك يمنعني »...

مشكلتك إذن، هي هذه الثنائية التي تعيشها.

هذا الصراع الذي فيك بين محبة الله ومحبة العالم، بين الخير والشر، البر والفساد، الحلال والحرام.

ذلك لأن محبة الله لم تستقر بعد فى قلبك .

لا تتمسك إذن بالتفاصيل ، وتترك هذا الجوهر، أعنى محبة الله .

صارع مع الله فى بداية هذا العام ، وقل له :

« أريد يارب أن أحبك . أريد أن محبتك تسكن فى قلبى . أنا محتاج أن أحب الخير والقداسة ، أن أحب الفضيلة والحق » .

« لا أريد أن أضع أمامى الخير كوصية ، وإنما كحب ... » .

لا أريد أن يكون الخير وصية ، أكافح نفسى لكى أصل إليها . إنما أريد أن يكون الخير حباً ، أتمتع به ...

أريد أن تكون وصيتك محبوبة لدىّ . أجد فيها لذة . أذوقها فتشبع نفسى... مثلما قال داود النبى « باسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كما من لحم ودسم » (مز ٦٣) ، « محبوب هو إسمك يارب ، فهه طول النهار تلاوتى » (مز ١١٩) ، « أحببت وصاياك أكثر من الجوهر الكثير الثمن » (مز ١١٩) ، « وجدت كلامك كالشهد فأكلته ... أحلى من العسل والشهد فى فمى » (مز ١١٩) .

هذا هو الأساس المتين ، الذى تبنى عليه حياتك الروحية...

من الصعب ومن المؤلم ، أن تكون حياتك صراعاً متواصلاً :

قيام وسقوط ، توبة ورجوع ، حياة مع الله وحياة مع العالم !

إذن قف وقل له : إنزع منى يارب هذه الشهوات الباطلة . إنزعها أنت بنعمتك ، بقوتك الإلهية ، بفعل روحك القدوس...

إنزع منى محبة العالم . إنزع منى القلب الحجر .

أنا أضعف من أن أقاوم . وقد دلت الخبرة على سقوطى فى كل حرب مهما كانت بسيطة . ليست لدىّ أية قوة . ولست مستطيعاً أن أعتمد على نفسى . فادخل أنت إلى حياتى وانقذنى . إننى مثل إنسان مهدد بالموت . فماذا أفعل ؟

إننى أمسك بقرون المذبح ، فى مدينة الملجأ ، لأجد حياة .

لأننى لو تركت قرون المذبح ، أقاد إلى القتل . ولا قوة لى ... إن قلبى الذى يحبك ، أو الذى يريد أن يحبك ، لا تزال فيه محبة الخطية . لا تزال فيه الشهوة الفلانية تتعبه . وها أنا قد أمسكت بك...

ولن أتركك حتى أتمتع بالآية القائلة : أبيَض أكثر من الثلج .

ومتى أبيَض أكثر من الثلج ؟ عندما تغسلني أنت ... إذن « إنضح عليّ بزوفاك فأطهر . واغسلني فأبيَض أكثر من الثلج (مز ٥٠) .

نعم هذا الذى نقوله فى الكنيسة ، فى صلوات القداس الإلهى :

« طهّر نفوسنا ، وأجسادنا ، وأرواحنا » .

أنت الذى تطهرها ، لأنها لا يمكن أن تطهر بدونك ... أنت الذى ستطهر فينا النفس والجسد والروح . أنت الذى ستنزع هذه النفس الساقطة الخاطئة الملوثة ، وتعطينا بدلاً منها نفساً جديدة ... تعطينا روحاً جديدة ، وقلباً جديداً ، وترش علينا ماء طاهراً فنطهر ...

أنت يارب منذ زمان ، رششت عليّ ماء طاهراً فطهرت ، ثم رجعت فلوثت نفسي . لكن لى أملاً فى قولك المعزى :

من كل نجاساتكم ، ومن كل أصنامكم ، أطهركم
وأعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم

نعم يا إخوتى ، ليتكم تحفظون هذه الآيات ، وتصارعون بها مع الله .

صراع مع الله

لتكن هذه السنة الجديدة ، سنة صراع مع الله :

تمسك بالرب ولا ترخه (نش ٣ : ٤) . وقل له كما قال أبونا يعقوب : لن أتركك ... لن أتركك حتى تباركنى (تك ٣٢ : ٢٦) .

ما معنى عبارة « لا أتركك » ؟

معناها أن تكون طويل الروح فى الصلاة . لا تمل بسرعة من الطلبة ، ولا تضجر ، ولا تيأس مهما تأخر الرب عليك ... بل إمسك بالرب بقوة ... بدموع ، بطلبات ، بابتهالات ، بلجاجة ، بصراع مع الله ...

قل له : أنا يارب عاجز عن مقاتلة الشيطان ، الذى استطاع من قبل أن يسقط قديسين وأنبياء ...

لا تتركنى أنا الإنسان الترابى ، لأقاتل شيطاناً هو روح ونار.

أليس الشيطان ملاكاً قد سقط . وقد قال الكتاب « الذى خلق ملائكته أرواحاً ، وخدامه ناراً تلتهب » (مز ١٠٤ : ٤) . والشيطان وإن كان قد فقد قداسته ، إلا أنه لم يفقد طبيعته ، فمازال روحاً ونارٌ ، بكل ما للملاك من قوة . فمن أنا حتى أحاربه ؟!

إن كان القديس العظيم الأنبا أنطونيوس ، قد قال للشيطان :

« أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم » ...

فمن أنا حتى أدعى القوة ، وأقف وحدى لأقاتلهم ؟!

بصراحة تامة أنا يارب لا أقدر ...

فإن لم تدخل يدك الإلهية لتنقذ وتخلص ... إن لم يعمل روحك القدوس فى داخلى ... إن لم تنزع منى قلب الحجر ، وتعطينى قلباً جديداً وروحاً جديدة ... إن لم تضع على بزوغك فأطهر ، وتغسلنى فأبيض أكثر من الثلج ...

إن لم تحقق مواعيدك ، فلن أتركك فى هذه الليلة ...

هكذا صارع مع الله . فكل الذين صارعوا معه ، نالوا ما يطلبون . قل له : أنا لن أتركك يارب فى هذا العام ، دون أن أنال فوه أنتصر بها ، حتى لو تركتنى أنت ، فلن أتركك أنا . ولن تخليت عنى ، لن أتخلى عنك ...

قل له : أنا واقف لك فى هذه الليلة . لن أبرح مهرة رأس السنة ، دون أن أشعر بتغيير فى داخلى ، وأخذ قلباً جديداً .

إن لم تتصارع مع الله ، لا يشعر أنك جاد فى طلبك .

هذه اللجاجة فى الصلاة ، هى التى تفتدر كثيراً فى فعلها ...

أما أن تبحث فى بداية العام الجديد عن زادتك وعن عزمتك ، وتصدر قرارات من جهة ضعفاتك ونقائصك ... فهذا كله لن يفلح فى شىء ، إن لم يدخل الله معك ... فأكبر جهادك إذن تفتتح به هذا العام الجديد ، هو الصراع مع الله .

إن جاهدت مع الله ، لا تحتاج أن تجاهد مع نفسك .

لأنك فى صراعك مع الله ، سينزع منك قلب الحجر ، ويعطيك قلباً جديداً وروحاً جديداً . وحينئذ لا تحتاج أن تصارع ضد القلب الحجر ، إذ قد نزعه الرب منك وأراحك من متاعبه .

وحينئذ يشعر قلبك الجديد بلذة الحياة الروحية ، فتذوق الله ، وتستطعمه... وتحيا حياة جديدة...

ليتنا نأخذ الحياة الروحية بطريقة جدية .

وطلباتنا إلى الله تكون طلبات جدية ... بإلحاح شديد ، برغبة قلب ، بحرارة ، بدموع ، بصلابة ، بشدة ، بطلب مستمر... ونمسك بالرب ونقول له « لن أطلقك »... ونأخذ منه معونة . ولنأخذ لنا مثالاً صلوات داود النبي :

كان لا يترك الصلاة حتى يأخذ ، فيحول الطلبة إلى شكر .

كان يكلم الله بدالة . وفي أثناء الصلاة يشعر بالاستجابة . يشعر بالإيمان أن الله قد عمل معه عملاً ، وأنه قد أعطاه ما يريد . فيشكره وهو مازال يطلب .

لقد جرب داود في مزاميره كيف يصارع الله : بالمحاجة ، بالمودة ، بالإقناع . جرب كيف يحنن قلب الله ، وكيف يعاتبه في دالة و يقول له :

لماذا يارب تقف بعيداً ؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق (مز ١٠) .

جرب داود كيف يحنن قلب الله بالدموع و يقول للرب « في كل ليلة أعوم سريرى ، وبدموعي أبل فراشي » (مز ٦) . و يقول له « إنصت إلى دموعي » .

يختبر أيضاً النقاش مع الله ، بأنواع وطرق شتى ...

نحن نحتاج في بداية العام الجديد أن نطلب معونة ...

إن كان الإنسان الذي تحاربه خطية واحدة ، يحتاج إلى معونة لتخلص من هذه الخطية ، فكم بالأولى أنا الذي تحاربني خطايا عديدة . لذلك أنا يارب محتاج إلى شحنة قوية أكثر من جميع الناس...

حسن أن أليشع النبي ، طلب اثنين من روح إيليا وليس واحدة (٢مل ٢ : ٩) . وأنا يارب مثله أريد معونة مضاعفة :

معونة تتغطى على السلبيات ، وأخرى تساعد على العمل الإيجابي .

الانتصار على الخطية يحتاج بلا شك إلى معونة . والسير في الطريق الروحي وفي عمل البر يحتاج أيضاً إلى معونة... ونحن نطلب الأمرين معاً في بداية العام الجديد . وإن أرادهما الله في عمل واحد من أعمال روحه القدوس ، فليكن لنا كقوله...

وماذا عن طلباتنا أيضاً فى العام الجديد ؟ لا شك نريد ثباتاً... نريد فيه تصميماً على الحياة مع الله ، تصميماً بلا رجعة .

تصميم بلا رجعة

فلا تدخل إلى العام الجديد ، وعيناك لاصقتان بالعام القديم فى كل شهواته وأخطائه ونقائصه . لا تكن مثل إمرأة لوط ، التى خرجت جسدياً من أرض سادوم ، وقد تركت قلبها هناك ، وعيناها لا تزالان متجهتين نحو سادوم... ولا تكن أيضاً مثل بنى إسرائيل ، الذين عبروا البحر الأحمر ، وخرجوا من أرض مصر . ولكن عقلهم لا يزال متعلقاً بقدور اللحم التى فى مصر ، وبالبطيخ والكرات... لكن أخرج من خطايا ذلك العام بغير رجعة .

وفى بداية هذا العام الجديد ، إحتفظ فى أذنيك وداخل قلبك بالعبارة التى قالها الملاكان لوط وهم يخرجونه مع أسرته من سادوم :

« لا تقف فى كل الدائرة . إهرب لحياتك » (تك ١٩ : ١٧) .

نعم ، لا تقف فى كل الدائرة القديمة ، بكل ما تحوى من خطايا وعثرات . وبكل ما فيها من ضعفات وسقطات . إهرب لحياتك . لا تنظر إلى الوراء ، ولا تمس نجساً... وقل للرب عن العام الماضى كله :

هذا العام الماضى كله ، سأدفنه يارب عند مراحمك الكثيرة...

سألقيه كله فى لجة محبتك . سأتركه فى المغسل الإلهى ، حيث يغسل الرب نفسى فتبيض أكثر من الثلج .

لست أريد من ذلك العام شيئاً . أنا متنازل عنه كله . حتى إن كانت لى فيه فضيلة معينة ، فهذه أيضاً لا أريدها .

كل ما أريده يارب ، هو أن أبدأ معك من جديد ...

أريد أن أنسى ما هو وراء ، وأمتد إلى قدام (فى ٣ : ١٣) .

أريد أن أبدأ معك بداية جديدة ، كما بدأت بنعمتك مع نوح ، بعد أن أزلت الماضى القديم كله ، وغسلت الأرض من أدناسها...

هذا الماضى القديم كله ، أنا متنازل عنه . يكفى اليوم شره (مت ٦ : ٣٤) .

أما العام الجديد ، فأريد أن أبدأه بالرجاء .

ربما تحاربني الشيطان باليأس . ويقول أنت هو أنت ، في يدي ، لا تخرج . ولن تستطيع أن تغير طباعك القديمة أو تتخلص من نقائصك !

نعم ، أنا لا أقدر . ولكن الله يقدر . وأنا لي رجاء في الله ، وفي عمله معي . وأنا لست وحدي في هذا العام الجديد ، لأن الآب السماوي معي .

سأبدأ هذا العام الجديد ، ومعي روح الله القدوس ...

ومعي نعمة ربنا يسوع المسيح . ومعي معونة من الملائكة ومن أرواح القديسين ، ومن صلوات الكنيسة المنتصرة...

ومعي أيضاً وعود الله الصادقة . معي وعود الله المحب الرؤوف... والله أمين في كل مواعيده ، لا يرجع عن شيء منها...

وأنا سأتمسك بوعود الله ، وأطالبه بها ، وعداً وعداً :

يمكنني أن أضع أمام الله ما وعد به في سفر حزقيال النبي . وأقول له في دالة الحب : أنت أنت القائل « أعطيكم قلباً جديداً . وأجعل روحاً جديدة في داخلكم » (حز ٣٦ : ٢٦) .

أين هو هذا القلب الجديد ، الذي وعدت به يارب ؟

وأين هذه الروح الجديدة ؟ سامحني يارب واغفر لي ، إن قلت وأنا تحت قدميك : أنت مديون لي بهذه المواعيد . وأنا سأطالبك بكلامك... حقاً إني مسكين وفقير ولا أملك شيئاً . ولكني أمسك مواعيدك . أمسك عطاياك المجانية التي وهبتني إياها . أمسك عهدك معي ، وقولك الإلهي : « من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم » . « وأجعل روحي في داخلكم ، وأجعلكم تسلكون في فرائضي » (حز ٣٦ : ٢٥ ، ٢٧) .

ولعل الرب يقول : أعطيتك قلباً جديداً ، فرفضت أن تأخذ !

أو لعله يقول « جعلت روحي في داخلك . ولكنك أحزنت الروح ، وأطفأت الروح ، وقاومت الروح » . فأنت المديون بهذا كله .

نعم يارب أنا أعترف بهذا . ولكن لا تتركني لضعفاتي . وإن أخطأت ، فلا تتركني لخطاياي ، ولا تحاسبني عليها ، وإنما إنقذني منها . فأنت الذي قلت عن

سلبياتنا : «من كل نجاساتكم أطهركم» . وأنت الذي قلت عن الإيجابيات «وأجعلكم تسلكون في فرائضي» . وأنا متمسك بكل هذا . وإن كنت أنا ضعيفاً عن حفظ ملكوتك في داخلي ، وإن كنت مديوناً لك ، إلا إني أقول لك :

تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ، إستله وانجح واملك .

العمل ليس عملي ، وإنما عملك أنت . تعال إذن واملك ...

إنزع بنفسك القلب الحجر ، وهب القلب الجديد ،

واعطني أن أستسلم لعملك فيّ ، كما يستسلم المريض لمشرط الطبيب ، فيقطع منه ما يلزم قطعه ، و يصل ما يحسن وصله . وهو بلا إرادة ولا وعي تحت مشرطه .

فلأكن يارب هكذا معك ، واعطني قلباً جديداً ...

انتظر كتاباً جديداً هو :

من وحي الميلاد ..

بالإضافة إلى كتابنا السابق :

تأملات في الميلاد

بشرى مفرحة

- بشرى مفرحة ...
- أسباب الفرح ...
- نظرة مستبشرة ...
- أفرحوا الناس ...
- فرح مهما كانت المتاعب ...
- ترنيمة العاقر ...
- أبشر بسنة الله المقبولة ...
- الله سينتصر فيك ...
- الفرح صورة مشرقة للدين ...
- أرجو لكم ...

محاضرة القيت فى الكاتدرائية الكبرى بالعباسية مساء ٣١/١٢/١٩٧١

بشرى مفرحة

أود فى بداية هذا العام الجديد ، أن أكلمكم بكلمة أمل ورجاء ...

أود أن يشرق علينا هذا العام كنور، برسالة فرح من السماء . لأنه بميلاد ربنا يسوع المسيح ، وُلد الفرح ، ووُلد السلام . وكان ميلاد الرب بشرى فرح للجميع . وفى يوم ميلاده وقف الملاك يقول للرعاة :

« ها أنا أبشركم بفرح عظيم ، يكون لجميع الشعب »

« إنه ولد لكم اليوم ... مخلص » (لو ٢ : ١٠ ، ١١) .

ها أنا أبشركم بفرح عظيم » ... فى هذه العبارة نجد رسالة المسيحية كلها . لقد جاءت المسيحية لكى تبشر الناس بالفرح العظيم الذى يكون لجميع الشعب . لذلك فكلمة إنجيل معناها بشارة مفرحة ، أخبار سارة .

وكان الرسل يبشرون ، أى ينقلون هذه الأخبار السارة ... إلى جميع الناس . فيقولون لهم : قد أتى الخلاص .

ويوحنا المعمدان ، الذى هيأ الطريق أمام ربنا يسوع المسيح ، كان يبشر الناس بأنه قد « اقترب ملكوت الله » (مت ٣ : ٢) .

ونحن كرجال دين ، ليس لنا عمل سوى أن نبشر الناس بهذا الفرح العظيم . ورسالتكم أنتم هى هذه ، أن تبشروا الناس بهذا الفرح ... وأن تفرحوا معهم ... وأى فرح ؟

أن المسيح أتى بديانة مفرحة لجميع الناس ، تحمل لهم الخلاص .

وتحمل لهم الفداء ، وتكسر أبواب الجحيم ، وتفتح أبواب الفردوس ...

أتى المسيح برسالة تقول للص وهو على الصليب « اليوم تكون معى فى الفردوس » (لو٢٣ : ٤٣)... رسالة تقول لرئيس العشارين الخاطىء ، مثال الظلم والشر فى جيله ، تقول له : اليوم حدث خلاص لأهل هذا البيت ، إذ هو أيضاً إبن لإبرهيم (لو١٩ : ٩) .

إنها رسالة تبشر الأمم الغرباء ، البعيدين عن رعوية الله فى ذلك الحين ، الذين كانوا محتقرين من إسرائيل ، فتقول عنهم : يأتون من المشارق والمغارب ، و يتكئون

فى أحضان إبراهيم... فى ملكوت الله (مت٨: ١١، لو١٣: ٢٩).

الدين عموماً هو رسالة مفرحة للناس، وبشارة فرح لهم.

أسباب للفرح

« إفرحوا فى الرب كل حين. وأقول أيضاً إفرحوا » (فى ٤ : ٤).

« إفرحوا فى الرب » (فى ٣ : ١). إفرحوا بالصلح الذى تم بين السماء والأرض. إفرحوا فى الرب يسوع المسيح، الذى أتى ليصالح السماليين مع الأرضيين، ويجعل الاثنين واحداً، وبكل التدبير بالجسد.

إفرحوا لأن خطاياكم مسامحى. والرب لا يعود يذكرها (أر ٣١ : ٣٤).

إفرحوا لأن الرب سيغسلكم، فتبيضون أكثر من الثلج.

حقاً إنها بشرى مفرحة للناس... بشرى بالخلاص من خطاياهم، يقول فيها الرب « أعطيهم قلباً ليعرفونى إنى أنا الرب، فيكونون لى شعباً، وأنا أكون لهم إلهاً، لأنهم يرجعون إلىّ بكل قلبهم » (أر ٢٤: ٧).

يقول أيضاً « أجعل شريعتى فى داخلهم، وأكتبها على قلوبهم » (أر ٣١: ٣٣). وماذا أيضاً يارب فى كلامك المفرح هذا؟ يقول:

« لأنى أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد » (أر ٣١ : ٣٤).

حقاً مبارك هو الرب، فى كل عهوده المفرحة، التى ذكرها فى العهد القديم نبوءة عما سيفعله معنا فى هذا العهد الجديد.

ونحن فى هذه السنة الميلادية الجديدة، التى نذكر فيها أنه قد ولد لنا مخلص هو المسيح الرب (لو ٢: ١١)، « يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١: ٢١).

يلذ لنا أن نذكر عمله المفرح، كما رواه أشعياء النبى.

فإن: روح الرب علىّ... ونحن نسأل: لماذا؟ لأية رسالة؟ فيجيب:

مسحنى لأبشر المساكين. أرسلنى لأعصب منكسرى القلب،

لأنادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق،

لأنادى بسنة مقبولة للرب،

لأعزى كل النائحين ... لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد ،
ورداء تسبيح ، عوضاً عن الروح اليائسة .
(أش ٦١ : ١ - ٣) .

نعم ما أجملها رسالة مفرحة ، تبشر المساكين والمنكسرى القلوب .

تنادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق ...

وكلمة المأسورين تعنينا كلنا ... فكلنا كنا فى أسر إبليس ، مأسورين بالخطايا والذنوب . وكان الشيطان له سلطان ، قال عنه الرب لليهود « هذه ساعتكم وسلطان الظلام » (لو٢٢ : ٥٣) .

ثم جاء المخلص ، الذى ينادى للمأسورين بالإطلاق ، فهتف الملاك قائلاً لرعاة « ها أنا أبشركم بفرح عظيم » .

نظرة مستبشرة

لذلك نريد فى هذه السنة ، أن تكون لنا النظرة المستبشرة .

تكون لنا النظرة المتفائلة ، المملوءة رجاء ، التى دائماً ترى الفرح فى كل شىء ... لأنه كثيراً ما يوجد أشخاص يعقدون الأمور ، و يشيعون اليأس ، و يغلقون أبواب الرجاء المفتوحة ، و يكونون كالبوم التى تنعق منذرة بالخراب ... !

وهؤلاء ليس هم صوت الله لأن صوت الله يقول :

ينادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق . يبشر المساكين ، و يعطيهم فرحاً عوضاً عن النوح . ولهذا يقول سفر أشعياء أيضاً :

ما أجمل قدمى المبشر بالسلام ، المبشر بالخير ، المخبر بالخلاص (أش ٥٢ : ٧).

حقاً ما أجمل أقدام المبشرين بالخير ، المبشرين بالسلام ، الذين يغرسون فرح فى قلوب الناس ، و ينزعون الحزن من القلوب المنكسرة ، ويجعلونها تمتلىء بالفرح ... وهذه هى رسالة أولاد الله .

وقد كان هذا هو عمل المسيح له المجد ، يملأ الدنيا فرحاً وسلاماً ، يبهج قلوب الناس ، ويمسح كل دمعة من عيونهم (رؤ٧ : ١٧) .

كان يجول يصنع خيراً (أع ١٠ : ٣٨) .

يفرح قلب السامرية ، والمرأة الخاطئة ، والمضبوطة فى ذات الفعل ، ويفرح قلوب العشارين والخطاة ، ويرفع معنوياتهم بأن يحضر ولائمهم . ويبشر الناس بأن النور قد أضاء فى الظلمة ، وأنهم فى فجر جديد .

وقد تعلم الرسل هذا الأسلوب من السيد المسيح ، وإذا بيولس الرسول يقول «ثمر الروح : محبة ، فرح ، سلام...» (غل ٥ : ٢٢) .

واضعاً الفرح فى مقدمة ثمار الروح ...

ويدعو الناس إلى الفرح الدائم ، قائلاً لهم « إفرحوا كل حين » (١تس ٥ : ١٦) ، « إفرحوا فى الرب كل حين » (ف ٤ : ٤) .

أو ليس هذا أيضاً هو ما قاله الرب لتلاميذه «تفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦ : ٢٢) . إذن انشروا رسالة الفرح .

إفرحوا الناس

إرسموا إبتسامة على كل شفة . واغرسوا الأمل والرجاء .

لا تشيعوا الكآبة . فإن الله لا يريدكم أن تحيوا فى كآبة ، هذا الذى أرسل ملاكه ليبشركم بفرح عظيم ...

ولكن لعل إنساناً يسأل : كيف يستطيع القلب أن يفرح ، وهناك أسباب كثيرة تدعوه إلى الحزن والتعب : أبواب مغلقة ، ومشاكل معقدة ، وخطايا تبعد عن الله ؟ ...

وأنا أقول إن الرجاء يحل كل هذا . فقولوا للناس :

كل مشكلة لها حل ، وكل باب مغلق له مفتاح ...

وما أسهل أن تكون لكل خطية توبة ، ولكل خطية غفران . وكل خصومة مع الله تساعد النعمة أن توجد لها صلحاً ...

لذلك عيشوا باستمرار فى الرجاء . دربوا أنفسكم أن تكونوا كما قال الرسول «فرحين فى الرجاء» (رو ١٢ : ١٢) .

وكونوا أنشودة فرح فى قلوب الجميع .

لا تجعلوا إنساناً ييأس مهما كانت الأسباب . وإن سدت الأبواب أمامه ، فتحوا له طاقة من نور . وعضدوه رجاء فى كل فروع الحياة ، مادية أو روحية . كونوا مبشرين بالخير ، ومبشرين بالسلام ...

قولوا لكل ضعيف : هناك قوة إلهية تسندك .

وقولوا لكل خاطىء : إن الله مستعد أن يخلصك « لأن الله يريد أن جميع الناس يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تى ٢ : ٤) .

قولوا له إن الله مستعد أن يساعدك : فروحه القدوس يعمل معك ، ونعمته واقفة على بابك تقرعه . وملائكة الله حالة حولك لتنقذك ، وأرواح القديسين تشفع فيك . ووسائط النعمة ستأتى بداعيها .

كونوا رسالة رجاء ، ورسالة سلام ، وأفرحوا الكل .

قوموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة (عب ١٢ : ١٢) .

وقد أخذ معلمنا بولس هذه النصيحة من قول الوحى الإلهى فى العهد القديم على لسان أشعياء النبى « شددوا الأيادى المسترخية . والركب المرتعشة ثبتوها . قولوا لخائفى القلوب : تشددوا لا تخافوا . هوذا إلهكم ... هو سيأتى ويخلصكم » (أش ٣٥ : ٣ ، ٤) .

أريحوا الناس من مشاعرهم على قدر ما تستطيعون . فهكذا كان يفعل السيد المسيح الذى قال :

« تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) . تعالوا إلىّ ، فأنا قد جئت إلى العالم لأحمل تعب الناس ، كما قال عنى أشعياء « أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها » (أش ٥٣ : ٤) . لقد جئت لأبشر المتعبين بالراحة . أتيت لأعصب منكسرى القلوب ، لأبشر المساكين ...

حتى القصبة المرضوضة ، والفتيلة المدخنة ...

قيل عن الرب « قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (مت ١٢ : ٢٠) . إنه يعطى رجاء لكل . هذه القصبة المرضوضة يعصبها ، ربما تشتد وتستقيم . وهذه الفتيلة المدخنة قد ينفخ فيها فتعود وتشتعل ...

إن السيد المسيح أراد أن يقدم لنا رسالة فرح ، ديانة فرح ... بشرى كلها رجاء ، بأن الملكوت قريب ، والخلاص قريب .

إنى أعجب من الذين تملكهم الكآبة فى الجو الدينى !

وتصبح الكآبة هى الطابع الذى تتميز به روحياتهم باستمرار. ولا يجدون فى الكتاب المقدس كله من أوله إلى آخره، من التكوين إلى الرؤيا، من أول « فى البدء خلق الله السموات والأرض » إلى « آمين تعال أيها الرب يسوع »... لا يجدون فى كل هذا سوى قول سليمان الحكيم « بكآبة الوجه يصلح القلب » (جا ٧ : ٣). وإن أرادوا أن يضيفوا عليها شيئاً يضيفون « طوبى للباكين الآن » (لو ٦ : ٢١).

ونحن نريد أن نقول لهؤلاء:

حتى البكاء والحزن فى المسيحية، ممزوجان بالفرح !

وقد قال السيد المسيح لتلاميذه « أنتم ستحزنون، ولكن حزنكم سيتحول إلى فرح... عندكم الآن حزن. ولكنى سأراكم فتفرح قلوبكم. ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يو ١٦ : ٢٠، ٢٢). وما أجمل قول القديس بولس الرسول، التى يلخص فيها متاعبه وضيقاته هو وكل العاملين معه، فيقول:

كحزانى، ونحن دائماً فرحون » (٢ كو ٦ : ١٠).

إنه فرح يميز كل أولاد الله فى كل ظروف حياتهم، فرح فى الرب، فرح لا ينطق به ومجيد (١ بط ١ : ٨)، فرح من النوع السامى، فرح روحانى، فرح نقى، فرح لا ينتهى، فرح كل حين...

فرح مهما كانت المتاعب

حياة أولاد الله لا تخلو من المتاعب، لأنهم يحملون صليباً. ولكنهم يفرحون فى وسط متاعبهم. لأن المتاعب شيء، والحزن شيء آخر. السيد المسيح كان أمامه الصليب. ومع ذلك قيل عنه فى الصليب وآلامه وخزيه « من أجل السرور الموضوع أمامه، إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى » (عب ١٢ : ٢). وقد قال بولس الرسول « لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح » (٢ كو ١٢ : ١٠).

أولاد الله يفرحون بالتعب، إذ يرون فى التعب إكليلاً ...

لا تضغطهم المتاعب، بل يفرحون بها، عارفين أن كل إنسان سينال أجرته من

لله بحسب تعبه (١ كو ٣ : ٨) . والقديس يعقوب الرسول يقول «إحسبوه كل فرح يا إخوتى ، حينا تقعون فى تجارب متنوعة» (يع ١ : ٢) .

وأولاد الله لا يرون فى التجارب والمتاعب شيئاً من التخلى ، بل يرون أن الله يفتقد بها أولاده لكى يهبهم نعماً .

الشهداء كانوا يفرحون ويغنون ، وهم ذاهبون للإستشهاد .

كما كانوا يعيشون فى فرح ، كانوا فى فرح أيضاً يستقبلون الموت . شاعرين إن الرباطات التى تربطهم بهذا العالم الزائل قد تمزقت . لذلك فهم فرحون أن يلتقوا بالله ، وفرحون بالأكاليل ، وفرحون بإتمام جهادهم على الأرض ، وفرحون بالقوة التى جعلتهم يثبتون فى الإيمان ...

بولس الرسول كان فرحاً ، وهو فى السجن .

الضيقة دائماً خارجهم ، لا يمكن أن تدخل إلى قلوبهم . لذلك فقلوبهم فرحة وفى عزاء . لأن العزاء يأخذونه من داخلهم وليس من خارجهم . وفى داخلهم يوجد الإيمان بالله المحب الراعى المهتم بالكل الذى قال الكتاب عن إهتمامه ومحبته وحفظه :

« أما أنتم ، فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة » (لو ١٢ : ٧) .

لا تسقط شعرة واحدة منها بدون إذن أبيكم ، الذى نقشكم على كفه ... الله الذى يحافظ حتى على العصافير ، فلا يسقط واحد منها بدون إذنه ، وأنتم أفضل من عصافير كثيرة (مت ١٠ : ٢٩ - ٣١) .

لذلك كان أولاد الله فى كل ضيقاتهم ، يغنون للرب أغنية فرح ، و يسبحونه تسبيحة جديدة ... و يأخذون بركة هذه الضيقات .

قيل عن الآباء الرسل الإثنى عشر ، بعد أن جلدوهم ، أنهم مضوا « فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل إسمه » (أع ٥ : ٤١) .

وأولاد الله كما يفرحون فى المتاعب ، يفرحون مهما كانت العوامل الخارجية تدعو إلى اليأس ... كما فى ترنيمة العاقر .

ترنيمة العاقر

إنها قطعة عجيبة فى الكتاب ، فى نبوءة أشعياء ، تدعو إلى الرجاء العجيب ، وإلى الفرح بالرب ، مهما كانت الظروف الخارجية . فهل هناك أصعب من ظروف العاقر التى لا رجاء لها فى إنجاب البنين ! أنظر ماذا يقول الكتاب لها . يقول وهو يحمل لها بشرى الفرح :

« ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد . أشيدى بالترنم » (أش ٥٤ : ١) .

كيف تترنم هذه ؟ وما دواعى الفرح أمامها ؟ فيجيب :

ترنمى ليس بما هو كائن ، إنما بما سوف يكون ...

وما الذى سوف يكون يارب ؟ يجيب فى رجاء :

« أوسعى مكان خيمتك ، ولتبسط شقق مساكنك » ،

« لا تمسكى . أطيلى أطنابك ، وشددى أوتادك » ،

« لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار » ،

و يرث نسلك أمماً ، و يعمر مدناً خربة » . (أش ٥٣) .

ويختم الرب هذه الأنشودة الجميلة بقوله :

لحيظة تركتك . وبمراحم عظيمة سأجمعك » (أش ٥٣ : ٧) .

إذن بالإيمان « أوسعى مكان خيمتك » . سيكون لك أولاد ، وسيكثرون ... وتمتدين إلى اليمين وإلى اليسار... ألا يدعو هذا إلى الفرح ، فرح الرجاء ، الرجاء فى وعود الرب . لذلك أولاد الله فى فرحهم يكونون « غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى ، بل إلى التى لا تُرى » (٢ كو ٤ : ١٨) .

إنهم يفرحون لأنهم يحيون بالإيمان . وما هو الإيمان ؟ إنه :

الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) .

ونحن نفرح بهذا الذى لا يرى . و بالإيمان نفق أيضاً بترنيمة هذ العاقر ، التى تكررت قصتها مع عاقر أخرى هى سارة إمرأة أبينا إبراهيم . ولم يكن لها ولد ، حتى أنها حينما سمعت وعد الرب ، ضحكت فى داخلها ، وفى يأس قالت « أبعد فنائى يكون لى تنعم ، وسيدى قد شاخ ... » (تك ١٨ : ١٢) .

ولكن غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله (مر ١٠ : ٢٧) .

هكذا قال الرب (لو ١٨ : ٢٧) ، ليجعلنا نرجو ونفرح ...

ولكى يثبت هذا لأبينا إبراهيم وزوجته العاقر . قال له : نسلك سيكون كنجوم السماء وكرمل البحر . إن استطعت أن تعد رمل البحر ، تستطيع أن تعد نسلك !

وكأن سارة تقول : أنا يارب لست أجد إبناً واحداً فقط ، أفيكون لى نسل كعدد نجوم السماء ؟! هذا عجيب ... نعم ، فى الرجاء «ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد . أشيدى بالترنم ...

لا يأس فى الحياة مع الله ...

إنه الرب المعطى بسخاء ، الذى يفتح لنا كوى السماء ، الذى يفيض من محبته ورعايته على كل أحد ، الذى قال جئت لأعصب منكسرى القلوب ، وأبشر المساكين ، وماذا أيضاً ؟ يقول :

أبشر بسنة الله المقبولة

ما هى البشرى الطيبة التى تحملها فى هذه السنة المقبولة أمام الله ؟ ما هى بشراك يارب ، وكل سنواتك مقبولة ؟

جئت لأبشر شاول مضطهد الكنيسة بأنه سيصير بولس الكارز العظيم ... وجئت أبشر كثيرين من أمثاله :

أبشر موسى الأسود ، القاتل السارق الشرير ، بأنه سيصير القس موسى العظيم ، أب الرهبنة ، وصاحب القلب الحانى الطيب الوديع ... وأيضاً أبشره بأنه سيكون شهيداً ...

جئت لأبشر أوغسطينوس الفاسد ، الذى تبكى عليه أمه ، بأنه سيصبح كنز الروحيات والتأملات الذى تنتفع به أجيال كثيرة .

جئت لأبشر مريم القبطية الزانية بأنه ستصبح سائحة قديسة ، يتبارك منها الأنبا زوسيما القس .

جئت لأبشر المسيئين بالعتق ، والمأسورين بالإطلاق .

جئت لأبشركم بسنة سعيدة مقدسة مقبولة أمام الله ، وأقول لكم إنه لا يوجد

شيء غير مستطاع عند الله... ولا توجد مشكلة يعصى حلها على الخالق العظيم، الذي يفتح ولا أحد يغلق (رؤ ٣ : ٧).

جئت لأبشر الأرض المظلمة الخربة المغمورة بالمياه ...

الأرض التي قيل عنها في سفر التكوين إنها خربة وخاوية ومغمورة بالماء، وعلى وجه الغمر ظلمة (تك ١ : ٢). جئت أبشر هذه الخربة بأن روح الله يرف على وجه المياه، وأن الله سينيرها، ويقيم فيها كل نفس حية، مع جنات وبساتين، ويجعل فيها أزهاراً وزنابق، ولا سليمان في كل مجده يلبس كواحدة منها...

وستكون هذه الأرض رمزاً لكل نفس خربة وخالية.

هذا هو الله المحب القادر، وهذه هي بشارته المفرحة.

لذلك كل من يعقد الطريق أمامك، لم يفهم الله بعد ...

الذي لا يذكر لك سوى الجحيم وجهنم والعذاب والبحيرة المتقدة بالنار والكبريت، ويعطيك صورة مسودة عن الأبدية، هذا لم يعرف الله بعد، وكلامه غير مقبول في بداية سنة جديدة، نريد فيها بشرى طيبة.

الأولى إذن أن نبشركم بإلهنا الطيب الحنون، الذي غنى بمراحمه وإحساناته داود النبي، فقال في مزمور ١٠٣ كلاماً جميلاً عجيباً إلى النفس، نقتبس منه قوله:

باركي يا نفسي الرب، ولا تنسي كل إحساناته».

ويتذكر المرتل في فرح إحسانات الله إليه، ويذكّر بها نفسه فيقول:

الذي يغفر جميع ذنوبك.

الذي يشفي كل أمراضك، الذي يفدي من الحفرة حياتك،

الذي يكللك بالرحمة والرأفة، الذي يشبع بالخير عمرك،

فيتجدد مثل النسر شبابك (مز ١٠٣).

ثم يذكر المرتل إحسانات الرب من جهة مغفرة الخطايا، فيقول:

لا يحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر.

لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا

لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض، قويت رحمته على خائفيه

كبعد المشرق من المغرب، أبعد عنا معاصينا ...

إذن ليس هو إلهاً يترصد الخطايا ، ليدخل الناس إلى جهنم ...

إنه رحيم ورؤوف ، طويل الروح وكثير الرحمة ، يترأف على خائفيه ، **كما** يترأف الأب على بنيه . ومادام هكذا فلنفرح إذن بالرب .

علينا إذن أن نفرح الناس ، لكى يطمئنوا إلى إله أخذ الذى لنا ، ليعطينا من الذى له . صار إبناً للإنسان ، ليجعلنا أولاداً لله ... هذا الذى أتى ليخلص شعبه من خطاياهم . « كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وُضع عليه إثم جميعنا » (أش ٥٣ : ٦) .

هناك أشخاص أفكارهم سوداء ، كلها قسوة وعنف وعدم مغفرة .

ويلقون ثيابهم السوداء على الله ، ليلبس كواحد منهم .

ولكن الرب ، كل ما فيه أبيض ناصع ، ما أبعده عن أفكار الناس السوداء . ونشكر الله أنه حتى الملائكة الذين ظهروا ، ظهروا بثياب بيض ، ثياب من نور .

إلهنا إله طيب . ونؤكد أنه سيفتح لك طريق الخلاص ، وأنه سيخلصك من جميع خطاياك .

إنه لا بد سيفتقدك ، ولو فى آخر الزمان ...

ولو فى المزيع الأخير من الليل ، ولو بعد أن يضطرب البحر ، ويخيل إليك أن السفينة ستنقلب ... إنه لن يتركك ، بل ستدركك رحمته ، ولو ساعة الموت أو قبيل ذلك بقليل ... نعم ، لن يتركك .

إن كانت الخطية أقوى منك ، فرحمة الله أقوى من الخطية .

إن كانت الخطية تزداد ، فالنعمة تكثر جداً ... إن خفت من الذين قاموا عليك ، فاعرف أن « الذين معنا أكثر من الذين علينا » (٢مل ٦ : ٦) .

إننا نحب أن نعيش فى فرح دائم ... تهب الأمواج ، وتهب الرياح ، وتسيل الأمطار ، وتتزلزل الجبال ... أما نحن فنسبح الرب تسبيحة جديدة . تغنى أغنية جديدة للرب . نعيش فى فرح « راسخين غير متزعزعين » (١كو ١٥ : ٥٨) ، واضعين فى أنفسنا حقيقة هامة ، وهى أن الله يتدخل فى كل مشكلة ، ليحلها .

الله يتدخل . والله أقوى من العالم .

٣ - إنه سينتصر فيك

إن الله قد غلب العالم . وقال لنا « فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣) . لقد غلبه فى القديم وفى الحاضر وفى كل حين . وهو قادر أن يغلب العالم فيك ، وبك . وهو مستعد أن يغلبه فى كل معركة روحية تقوم ضدك . إنه لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين » (مز ١٢٤) . إنما يعوزك فقط أن تقول له :

أرنا يارب رحمتك (مز ٨٤) . إمنحنا بهجة خلاصك (مز ٥٠) .

جميلة هى عبارة « بهجة خلاصك » . إن الرب قد جاء يقدم الخلاص ، ويقدم معه أيضاً بهجة خلاصه . لذلك نحن نبشر بسنة مفرحة ، بسنة الله المقبولة ...

سنة يعمل الله فيها عملاً مفرحاً وقوياً ...

نبشر بإله قوى ، أقوى من العالم ومن الشيطان ومن الخطية ... إله إنتصر فى حروب أولاده فى القديم ، وينتصر الآن ، وفى كل زمان ... إله يعطى المعيى قوة (أش ٤٠ : ٢٩) ، ويجدد مثل النسر شبابه ... إله أفرح كل الذين تبعوه ، وقادهم فى موكب نصرته (٢ كو ٢ : ١٤) . هذه هى البشرى التى نقدمها فى سنة جديدة .

فحاذر أن تنظر إلى العام الجديد بمنظار قاتم ...

حاذر أن تنظر إليه بمنظار اليأس أو الخوف أو القلق ... ولا تظن أن الأبواب مسدودة موصدة . أخشى أن تكون نفسك هى المسدودة . إفتح أذن حواسك الروحية ، لترى مراحم الله ومعونة الله وتفرح وتبتهج . أو أطلب من أليشع النبى أن يصلى من أجلك ، كما صلى من أجل تلميذه جيحزى ، ويقول :

إفتح يارب عينى الغلام ، فيرى (٢ مل ٦ : ١٧) .

وسترى جبل الله مملوءاً خيلاً ومركبات ، فتطمئن نفسك وتفرح . وستجد الرب قد فتح لك طريقاً فى البحر فتفرح . وستسمع داود النبى يرتل فى أذنيك قائلاً «نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا » (مز ١٢٣) . ستسمع هذا من فم داود فتفرح .

إن القوة الإلهية موجودة . ولكن يعوزك أن تراها .

لا تقل فى بداية العام « لا توجد معونة » أو « أعطنى يارب معونة » ، إنما قل : أعطنى يارب أن أرى المعونة الموجودة فأمجدك « أرنا يارب رحمتك » (مز٨٤) .

إذن رسالة هذه السنة الجديدة ، هى أن نبشر بسنة الله المقبلة . نبشر الناس بفرح عظيم ، نبشرهم بخلاص الرب .

نبشر الضعيف بقوة تحيط به من فوق ...

نبشر اليائس بالأمل والرجاء . ونبشر الخاطئ بعمل النعمة فيه ، و بافتقاده من الروح القدس ليتوب و يرجع إلى الله .

نبشر الكل بأن الله يجول يعمل خيراً ، يجول فى كل مكان يشبع كل حى من رضاه ، ويمسح كل دمعة يراها فى عين كل إنسان .

هذه هى طريقة الرب ، الذى خلقنا للفرح ، وأعدنا لنعيم أبدى .

لذلك فالأبدية هى مكان للنعيم . والأبدية تعمل فينا .

نقول عن الأبدية فى صلواتنا « الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد » . والأرض أيضاً مكان خلقه الله للفرح « فرح لمستفيضين يقينهم » .

وعبارة « إفرحوا فى الرب كل حين » ليست هى مجرد نصيحة ، إنما هى أمر من الوحى الإلهى .

الفرح صورة مشرقة للدين

إن سرت فى طريق الله ، فلكنيسة الكآبة ، ستعطى صورة كئيبة عن الدين والحياة الروحية ، و يقول كل من يراك : هذا الإنسان كان هادئاً ومطمئناً ، وقلبه عامر بالحب والسلام . ولكن منذ أن تدين صار متجهم الملامح ، عابس الوجه ، يسير وهموم الدنيا كلها على كتفيه ، وأحزان العالم كله فوق رأسه . وهكذا يعثرون بسببك ، ويخافون من الحياة مع الله ومن الطريق الروحى .

فلماذا هذا الإئتلاف ؟ إعط الناس درساً بفرحك . علمهم أن :

أولاد الله فرحون ، لأنهم وجدوا الله ، وعرفوه وعاشروه .

إنهم فرحون بملكوت الله داخلهم ، فرحون بعمل الروح القدس فيهم . فرحون بخروجهم من أسر إبليس وتخلصهم من خطايا عديدة . فرحون بالحياة الجديدة .

بالحديث مع الله، والتأمل في الإلهيات. فرحون بانطلاق أرواحهم من سلطان الجسد والمادة. فرحون لأنهم صاروا تحت قيادة الله الباترة، وتحت رعايته، وقد ذاقوا ونظروا ما أطيب الرب، واختبروا جمال الحياة معه. وهم فرحون أيضاً لأنهم قد لبسوا ثوباً جديداً من البر، بل قد لبسوا المسيح (غل ٣: ٢٧).

هذه هي أسباب الفرح بالرب التي نبشركم بها.

إن وضعت كل هذا في ذهنك فستفرح بالرب. أما إن ملكك الخوف من المستقبل، والخوف من الخطية، والخوف من السقوط: فهذا دليل على أنك نسيت عمل الله معك، وعمل فيه، وبشراه بخلاصك. واعرف هذا إذن:

إن كل قلق وخوف واضطراب ويأس، هو من عمل الشيطان.

هذا هو أسلوبه، يريد أن يزعجك ويخيفك، لكي تستسلم له وتترك جهادك الروحي، وتفشل... فلا تسمع له. فنحن لا نجهل أفكاره (٢ كو ٢: ١١). أما ثمار الروح فهي فرح وسلام. لذلك لما بشر الملائكة ميلاد المسيح قالوا:

«... على الأرض السلام، وفي الناس المسرة».

فلتسكن المسرة إذن في قلوب الناس، ولتعش في حياة الفرح الدائم. تفرح بالرب كل حين، شاكرين في كل حين، عن كل شيء (أف ٥: ٢٠).

أرجو لكم

أرجو لكم سنة سعيدة مباركة ثابتة في الرب، تكونون فرحين فيها، محفوفين من الرجاء والبهجة، شاعرين بعمق الله فيكم، وعمل الله لأجلكم... وشاعرين أن قوة الله تظللكم، وأن يده فوق أيديكم، تمسك بأيديكم، وتعمل به، وتقود خطواتكم إليه.

وبهذه الروح تستقبلون العام الجديد، وأنتم لستم وحدكم، وإنما الله معكم، مصلين أن يكون عامنا الجديد عاماً سعيداً مباركاً. وفي نفس:

نحن نعلم أنه حسبما نكون، هكذا يكون عامنا...

كثير من أحداثه وأخباره وتاريخه، هي من صنعنا نحن... بإمكاننا بنعمة الله العاملة فينا أن نملأ هذا العام خيراً وبراً... فليكن كذلك.

إن حياتنا في أيدينا ، ليست مفروضة علينا (١)

نحن نصنعها بحرية الإرادة الموهوبة لنا من الله ، لنسير في الطريق التي نشاء... فهكذا ترك الله لنا الحرية التي نقرر بها مصيرنا...

وماذا عن عمله الإلهي إذن في هذا العام ؟

إن نعمته مستعدة أن تعمل معنا الأعاجيب ، إن استسلمنا لعملها فينا ، ولم نقاوم الروح القدس الذي يريد لنا الخير.

الله يريد لنا الخير ، ويبقى أن نريده نحن كذلك ، فتتحد مشيئتك مع مشيئة الله الصالحة... حينئذ تصير حياتك كلها خيراً... حتى إن صادفتنا عقبات أو تجارب أو ضيقات ، تكون كلها للخير أيضاً .

لسنا محتاجين في حياتنا الروحية إلى من يتنبأ لنا كيف يكون عامنا الجديد . إنما نحن محتاجون أن نفحص قلوبنا لنعرف .

قلوبنا هي مرآة المستقبل ، هي التي ترسم صورة مستقبلنا .

القلب القوى النقي هو نبوءة عن مستقبل قوى نقي .

والقلب الضعيف هو نبوءة عن مستقبل ضعيف .

فلنتصل إلى الله أن يعطينا قلوباً طاهرة وقلوباً صامدة . ولنطلب إليه من أجل بلدنا وشعبنا ، ليكون هذا العام عاماً سعيداً ، مهما حاول عدو الخير أن يعرقل عمل النعمة فيه ، ليكن عاماً كله فرح ، وكل عام وجميعكم بخير .

(١) هذه الصفحة هي من إفتتاحية مجلة الكرازة في ١٩٧٥/١/٣ .

الوقت

مختصرة عن محاضرتين ألقيتا في الكاتدرائية الكبرى بالعباسية

إحداهما مساء الجمعة ٣١/١٢/١٩٧١ ، والأخرى مساء الجمعة ٢٥/٢/١٩٧٢

باسم الآب والإبن والروح القدس ، الإله الواحد آمين

يا إخوتى ، فى بداية عام جديد ، أود أن نتذكر حقيقة هامة وهى :

الحياة هى وقت . والذى يضيع وقته ، يضيع حياته .

كما أن الذى يستفيد من الوقت ، إنما يستفيد من حياته .

حياتك هى أيام وساعات ودقائق . وكما قال الشاعر :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحيـاة دقائـق وثوانى

وأنا اليوم أود أن أقول لكم : كل عام وأنتم بخير . وها قد مضى عام ، ونحن نستقبل عاماً جديداً...

ولست أدرى ، هل أبارك لكم فى العام الجديد ،

أم أعزيكم بمناسبة العام الذى مضى ... ؟!

فالعام المنقضى ، هو عام من حياة كل إنسان قد انقضى ، هو جزء من حياته قد مضى . هو خطوة قد خطاها نحو الأبدية ، واقترب بها نحو العالم الآخر... هو سجل من صفحات حياته سوف يعطى حساباً عنه أمام الله وملائكته .

وكل عام يمضى من حياتنا ، لا نستطيع أن نسترجعه مرة أخرى .

أصبح أمراً واقعاً ، مسجلاً علينا ، لا نستطيع تغييره .

ربما كانت لنا فى العام الماضى أخطاء : قد نندم عليها ، أو نتبرم بها ، أو نتركها ، أو نتوب عنها وتغفر لنا . ولكن مع ذلك لا نستطيع أن نلغى حدوثها . لقد حدثت وانتهى الأمر ، ولا نستطيع أن نغيّر هذا أو ننكره . لقد أصبح تاريخاً ، ولم يعد فى إمكاننا أن نتصرف فيه...

لقد أنكر بطرس سيده . وتاب ، وغفرت له هذه الخطية . ولكنها أصبحت تاريخاً . غفرانها لم يمنع أنها حدثت ، بل يثبت حدوثها

وقد عاش أوغسطينوس حياة فاسدة . ثم تاب وتغيرت حياته إلى العكس . وأصبح كنزاً من روحيات . ولكن هذه التوبة وهذه القداسة لم تمنع ما قد تسجل فى صفحات تاريخه...

لذلك علينا أن ندقق فى كل دقيقة وكل تصرف .

فكل دقيقة هى جزء من حياتنا . وكل تصرف هو جزء من تاريخنا . وكل

دقيقة تمضي ، لا نستطيع أن نسترجعها . وكل تاريخ لنا ، لا نستطيع أن نلغيه أو ننكر وقوعه . ولقد أعطانا الله العمر ، لكي نستغله للخير ، ونحب الله فيه ...

وأعطانا هذا العام الجديد ، ليكون عاماً للحب والخير .

وإذا ضاع هذا العام بغير ثمر ، يكون هدف الله من إعطائه لنا لم يتحقق . ترى كيف سنسلك في هذا العام ؟

هو صفحة بيضاء ، لم نكتب فيها شيئاً بعد .

ترى ما الذي سنكتبه في هذه الصفحة من صفحات تاريخنا ؟ ماذا سنسجله على أنفسنا ؟ ماذا سنحاسب عليه ، عندما يقول الله لكل منا « أنا عارف أعمالك » (رؤ ٢ : ٢) ؟ هل سنرضيه في السنة المقبلة ، وتفعل مشيئته ، ونكون أفضل حالاً مما سبق ؟

هل سنعتبر العام الجديد ، وزنة نتاجر بها ونربح ؟

هل ستكون كل دقيقة من دقائقه دسمة ومثمرة ، ومملوءة بالخير والبركة ، لنا وللآخرين ؟ أنرانا حريصين على كل دقيقة تمر من عمرنا ؟ وهل كل ساعة من حياتنا ثمينة في نظرنا ، عزيزة علينا ؟

هل نعتبر أنفسنا مجرد وكلاء على هذه الحياة ؟

هذه الحياة ، حياتنا ، ليست ملكاً لنا ، إنما هي ملك لله ، وهبها لنا . ونحن مجرد وكلاء عليها . إنها مجرد وديعة منه في أيدينا ، ينبغي أن نكون أمناء عليها ، وسنقدم حساباً عنها - جملة وتفصيلاً - حينما يقول لكل منا « أعطني حساب وكالتك » (لو ١٦ : ٢) .

فلنراجع أنفسنا إذن ، ولننظر إلى حياتنا كيف هي ؟

كل وقت مملوء بالخير ، هو الذي سيحسب من عمرنا .

هو الوقت الحي في حياتنا . أما الأوقات التي لا نستغل في الخير ، فهي ميتة ، لا تحسب من الحياة ، بل قد تميت غيرها معها . فعلى ذلك أسألكم : كم هي الأوقات التي ضاعت من عمركم ولم تحسب لكم . وكم هي الأوقات المحسوبة من عمركم ، الحية المثمرة ؟

كم هى سنو حياتكم الحقيقية على الأرض ؟

أنظروا إلى حياتكم ، وليسأل كل منكم نفسه : كم ساعة من العمر كانت فى مع الله ؟ وكم ساعة كانت للشيطان وللعادة وللجسد ؟ كم ساعة كانت مثمرة ، خيرة ، نيرة ؟ ليتنا نواجه أنفسنا فى صراحة وصدق ونسألها : كم هو الوقت الذى كان لنا فى عمرنا ، وكم هو الوقت الذى كان علينا وضدنا ؟

إنى أعجب ممن يبحث عن طريقة لقتل الوقت !

الذى يقتل الوقت ، إنما يقتل حياته ، لأن حياته هى هذا الوقت . مثل هذا الإنسان الذى يبحث عن أية طريقة يقضى بها وقته ، لكى يمر الوقت عليه بلا ملل ... مثل هذا الإنسان ، لا يشعر بأن هناك قيمة لحياته ! إنه يعيش بلا هدف ، وبلا رسالة . حياته رخيصة فى عينيه ، لأن وقته رخيص فى عينيه ، لذلك يبحث عن وسيلة يقتل بها وقته !

وعكس ذلك الذين يقدرون حياتهم ، فيكون وقتهم مثمراً .

هناك قديسون عاشوا فترة قصيرة جداً على الأرض .

ولكنها فترة عجيبة الأثر ، إقتدرت كثيراً فى فعلها .

كل دقيقة من حياتهم ، كانت لها قيمة . وكان الله يعمل فيها .

خذوا مثالاً لذلك القديس يوحنا المعمدان : لقد بدأ رسالته وهو فى الثلاثين ، قبل بدء خدمة السيد المسيح بستة أشهر ، وانتهت خدمته باستشهاده بعد ذلك بقليل . كم كانت فترة خدمته إذن ؟ حوالى سنة على الأكثر .

وفى هذه الفترة القصيرة ، إستطاع أن يعد الطريق للرب ، وهيىء له شعباً مستعداً ، ويكرز بمعمودية التوبة ، ويعمد آلافاً من الناس ، ويشهد للحق ويموت شهيداً . ويستحق أن يدعى « أعظم من ولدته النساء » (مت ١١ : ١١) ، كما دعى ملاكاً ...

إن الشهور التى قضاها يوحنا فى الخدمة ، كانت أثمن وأعمق بكثير من عشرات السنوات فى حياة خدام آخرين . كانت أثمن وأعمق بكثير من عشرات السنوات فى حياة خدام آخرين . كان وقته غالياً جداً ومثمراً ، ونافعاً لجيله كله ...

متوشالح الذى عاش ٩٦٩ سنة ، أطول عمر لإنسان على الأرض ، لم نسمع عنه أنه عمل أعمالاً عظيمة خلال مئات السنوات ، كبعض أعمال يوحنا المعمدان فى شهور ... !

ولعلكم وسط هذه الأمثلة تسألون : ما هو أعجب وقت عرفه التاريخ فى تأثيره وفاعليته ، فأجيبكم إنها الثلاث ساعات التى قضاها المسيح على الصليب ، من السادسة إلى التاسعة :

ثلاث ساعات على الصليب ، كانت كافية لخلاص العالم !

لا يوجد بالنسبة إلينا ، وقت أثمن من هذه الساعات الثلاث ، التى فيها سفك السيد المسيح دمه وقدم حياته كفارة عن خلاص العالم كله... إن آلاف السنين لا يمكن أن تتوازن مع هذه الساعات الثلاث ، التى كانت بركة لكل الأجيال من آدم إلى آخر الدهور ، والتى محيت فيها خطايا العالم كله ، التى حملها المسيح عمن آمنوا به ... حقاً هذه الساعات الثلاث لا توازيها أجيال البشرية كلها .

وجزء من هذ الساعات ، كان لخلاص اللص اليمين .

إن كل العمر الذى عاشه ذياس اللص ، لا يمكن أن يقارن بهذه الساعات التى قضاها مع المسيح على الصليب . وكل أنواع اللذة والسعادة التى تمتع بها فى حياته ، لا يمكن أن تقاس بلحظة التى سمع فيها من فم الرب عبارة « اليوم تكون معى فى الفردوس » ... إنها أسعد لحظة فى حياته . عمره كله لا يساويها .

حقاً إن مقاييس الوقت ، تختلف فى طولها وعمقها .

إن ساعات قليلة من حياة إنسان ، قد تكون أطول وأعمق فى مفعولها ، من عمر كامل لإنسان آخر ، سواء من جهة الخير أو الشر ، النفع أو الضرر...

ساعة من حياة بطرس الرسول ، كانت سبباً لخلاص ثلاثة آلاف .

وساعة عكسية فى حياة داود النبى ، أخطأ فيها ، وظل يبكى بسببها حياته كلها ، ويبلل فراشه بدموعه ، وصارت دموعه شراباً له نهاراً وليلاً ...

وأنت : هل وقتك صديق لك أم عدو ؟ ...

هل هو لك أم عليك ؟ هل تكسب فيه الحياة أم تخسرها ؟ هل تنمو فيه روحياً ، أم ترجع فيه إلى الوراء ؟ إسأل نفسك .

هل مر عليك يوم قلت عنه فى ندم : ليت هذا اليوم لم يكن من حياتى... فشاكلى طول العمر هى من نتاج هذا اليوم ، الذى فيه ضيعت عمرى... !

ومن الناحية الأخرى : هل مر عليك وقت آخر كان له تأثيره الجميل فى حياتك وحياة الناس !

هناك أناس كانت حياتهم بركة لأجيالهم ...

لدرجة تجعل بعض الناس يقولون « لقد عشنا فى زمن فلان ، عشنا فى جيله وعاصرناه » . فهل أنت هكذا ، يفرح الناس لأنهم عاشوا فى أيامك وعاصروك وتأثروا بك؟ هل لك تأثير فى جيلك ، أو على الأقل فى دائرة معينة منه ، فى كنيسة ، فى خدمة ، فى بيت؟ هل لك وجود له تأثير وفاعلية وبركة؟ هل وقتك ترك خاتمه على غيرك ؟

كثيراً ما يرتبط الجيل بالشخص ، ويتسمى باسمه ، كما قلنا ...

ليس فى النطاق الروحى فقط ، بل والمدنى أيضاً .

فكثيرون يذكرون مثلاً عصر شكسبير ، الشاعر المعروف ، دون أن يعرفوا الفادة الذين عاشوا فى عصره ، إلا الذين يرتبط بهم تاريخه ، فأعطاهم تاريخه شهرة... أو قد يتحدث البعض عن عصر مايكل أنجلو الرسام الإيطالى المعروف ، دون أن يعرفوا البابوات الذين عاشوا فى زمنه ، أو الأباطرة الذين عاصروه . لقد كان هو أشهر من فى الجيل كله ، فعرف الجيل كله به ، لأن وقت ميشيل أنجلو ترك آثاراً عميقة إستمرت حتى جيلنا هذا...

نقول هذا عن هؤلاء المشهورين ، ونقول من الناحية الأخرى :

هناك أشخاص آخرون ، عاشوا وكأنهم لم يولدوا !

قضوا فترة على الأرض ، وكأنهم غير موجودين ، كأنهم لم يخلقوا . لم يستفد العالم شيئاً من وجودهم ، ولم يحدثوا تأثيراً حتى فى الدائرة الضيقة التى عاشوا فيها... كان وقتهم بلا ثمر ، لم يستغلوه لمنفعتهم ولا لمنفعة أحد . لذلك صارت حياتهم فراغاً . فحاذروا أن تكونوا من هذا النوع ، بل إستفيدوا من وقتكم ، ببنيانكم وبنيان الآخرين... ولا أقصد أن يكون تأثيركم فى المجتمع الذى تعيشون فيه ، هو من أجل لفت الأنظار ، إنما من أجل إيمانكم بأن تكون لكم رسالة ، فى بناء ملكوت الله على الأرض...

إن كانت أيامكم السابقة بهذا الشر ، فطوباكم . وإن لم تكن فاهتموا من بداية هذا العام الجديد أن تكون حياتكم مثمرة ، وأن يكون وقتكم غالياً ، وله فاعليته...

إحرصوا أن يكون هذا العام عام مثالى ...

عـام مثـالى

لو كانت أعوام حياتكم تتنافس فيما بينها ، فأى عام من هذه الأعوام يكون أفضلها ؟ ... لا تتعبوا أنفسكم فى فحص الماضى ، إنما ليت هذا العام الجديد يكون هو الأفضل وهو العام المثالى .

ليت هذه السنة الجديدة تكون أحسن سنوات العمر .

وليتنا نقول هذه العبارة فى كل عام جديد يطل علينا .

وكما يدرب البعض أنفسهم على يوم مثالى يقضونه فى أجل وضع روحى ، هكذا ، فلنبكر لنا تدريب العام الكامل ، لنجعل كل يوم من أيام هذا العام يوماً مثالياً ، وكل ساعة فلتكن ساعة مثالية .

فليعطنا الرب هذه النعمة ، له المجد الدائم فى الأبد آمين .

في هذا الكتاب

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

كيف تبدأ عاماً جديداً ؟

سواء كان هذا العام ، هو العام الميلادى ، أو العام القبطى فى عيد النيروز، أو كان بداية عام فى حياتك ، فى يوم ميلادك... أو بداية عام فى خدمتك ...

كيف تكون بداية روحية ... ؟

وكما نقول فى صلوات الأجبية « فلنبدأ بدءاً حسناً » ...

هذه هى رسالة هذا الكتاب إليك : مجموعة مشاعر يقدمها إليك ، ألقيت فى سهرات رأس السنة فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى .

إقرأها وعش بها . وليكن عامك عاماً مباركاً سعيداً...

شنوده الثالث

الثمن ٣٠ قرشاً